عباس محمود العقاد

هدية الكروان

AL-MOSTAFA.COM

مقدمة

فى اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف ، وكانت لياليهما السواحر الحسان ، وكان هتاف الكروان الذى لاينقطع من الربيع إلى الخريف ، ولايزال يتردد حتى يسكته الشتاء ، وأكثر ما يسمعه السامع فى حوافى مصر الجديدة حيث أسكن وحيث يكثر هذا الطائر الغريب ، لأنه يألف أطراف الصحارى على مقربة من الزرع والماء ، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التى كان يسكنها الزهاد بين الصحراء والنيل ، فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب .

ولى بالكروان ألفة من قديم الأيام ، نظمت فيه القصيدة النونية التى أقول فى مطلعها :

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتا يرفرف فى الهزيع الثانى

وأودعتها الجزء الأول من الديوان .

ثم أعادنى طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه ، فاجتمعت عندى قصائد عدة فى مناجاته ، وكأننى كنت أعارضه وأساجله بكثير من القصائد الأخرى التى اشتملت عليها هذه المجموعة ، فصح على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله «هدية الكروان» .

ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام ، فأما غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا ، لأننا نتكلم عما فيه من شعر يوحى الشعر ، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان .

تسمعه الفينة بعد الفينة فى جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبِّه لك الزاهد المتهجد الذى يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة، ويشبه لك الحارس الساهر الذى يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة، وينطلق بالغناء فى مفاجأة منتظرة أو انتظار مفاجئ فلا تدرى أهىَ صيحة جذل أم هى صيحة روعة وإجفال، ولكنك تشعر بالجذل والروعة والإجفال تتقارب وتتمازج فى نفسك حتى لاتتفرق، كأنك تصغى إلى طفل يرتاع وهو جذلان ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه لأن للخطر فى حسه طرافة وحركة، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص.

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك، وعن اليمين وعن الشمال، وعلى الأرض وفوق الذرى، فيخيل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لايقيده المكان ولايعرف المسافة، أطلقوه فى الدنيا على حين غرة فسحرته فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل، فهو لايعرف القرار ولايصبر فى مطار، فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالما من معان وأشجان يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الأمين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال: عالم لانظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار.

ومن العجيب أنك لاتقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون، على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب!.

وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ماتُسمع فى هذه الأجواء!

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورا من الشعراء، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ولايلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون.

وليس عن تعصب منا للوطن نؤثر الكروان على البلبل وما إليه، لأن التعصب الوطنى على هذه الصورة حماقة لامعنى لها فى الشعر والشعور، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق، أما الإعجاب بالطير الذى لانسمعه فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالى وتؤذى النفس كما يؤذيها كل تصنع لاحقيقة فيه، وأخف موقع له فى نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية.

كذلك الأصم الذى أراد أن يخفى صممه فى مجلس الغناء، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولاسامعين!.

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه فبماذا عساه يشعر؟ إن الطير المغرد هو الشعر كله لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية، فمن لم يأنس به لم يأنس بما فى هذه الدنيا من طبيعة شاعرة ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير.

والطير بعد هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان، فهو

عند الشاعر وثيقة لايعرض عنها ولايفلتها من يديه ، فإذا قال الجفاة الجامدون : إن الشعر لغو فى الحياة ، قال الشاعر : إن التعبير الموسيقى عنصر من عناصر الطبيعة ، وإن الطير يغنى ويهتف ، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن ، كأن الغناء والتعبيرعن الشعور هما غاية الحياة القصوى ، لاينساها الحى إلا لعائق يشغله ويغض من حياته .

والجفاة الجامدون يقولون كثيرا عن الشعر فى الزمن الأخير : يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذى تفيض به الطبائع الحية ولاسيما الأحياء المغردة الطائرة ، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكل أمة ولكل قبيلة ولكل لغة ، فلو كان شيئا عارضا فى الحياة الإنسانية لما وجد حيث توجد الحياة الإنسانية ، ولو كانت الموسيقية نافلة فى الدنيا لما وجدت فى أمة الطير ، وإذا وجدت فى لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانى وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان ؟ .

فبين الطائر المغرد والشاعر الشادى محالفة طبيعية لا تحنث فيها الطير ولاتقصر فى إسداء حصتها الخالدة ، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفى كل دينه ولن يستنفد كل حصته ، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التى يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء .

عباس محمود العقاد



هتفات الكِرْوان[1] بالليل تترى

ومعانى الربيع نورًا وعطرا

وجمال الحياة حبًا وحسنًا

وشبابًا يفيض عطفًا وبشرا

بتُّ أصغى لها ، وأقبس منها

ثم ترجمتها لمن شاء شعرا

(١) جمع كروان ، بفتح الكاف والراء .

الكروان المجدد

قبل عشرين سنة نظم صاحب الديوان قصيدة «الكروان» وفيها هذه الأبيات :

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتًا يرفرف فى الهزيع الثانى

من كل سارٍ فى الظلام كأنه
بعض الظلام ، تَضله العينان

يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
موج الدياجر ، دعوةَ الغرقان

. . . .

. . . .

ما ضر من غنى بمثل غنائه
أن ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا فى الحياة كثيرة
الخوف فيها والسطا سيان

* * *

يا محيىَ الليل البهيم تهجدًا
والطير آوية إلى الأوكان

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعًا
من نابغ فى غمرة النسيان

قل يا شبيه النابغين إذا دعوا
والجهل يضرب حولهم بجران

كم صيحة لك فى الظلام كأنها
دقات صدر للدجنّة حان

هن اللغات ولا لغات سوى التى
رفعت بهن عقيرة الوجدان

إن لم تقيدها الحروف فإنها
كالوحى ناطقة بكل لسان

أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى
بث الحزين وفرحة الجذلان

* * *

وفى هذا العام نظم صاحب الديوان القصيدة التالية ليقول فيها : إن ما سمعه من الكروان أولا غير ما سمعه آخرا ، وإن الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير!

وهذه هى القصيدة :

زعموك غير مجدِّد الألحان
ظلموك ، بل جهلوك ، يا كروانى

قد غيرتك ، وما تغير شاعرا
عشرون عاما فى طراز بيان

أسمعتنى بالأمس ما لا عهد لى
بسماعه فى غابر الألحان

ورويت لى بالأمس ما لم تروه
من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواى منك ، وإن شكرتك ، أنه
سرٌّ تصر به على الكتمان

شكرى إليك ، وإن شكوتك ، أنه
سرٌّ تؤخره لخير أوان

كنز يصان فهات من حباته
ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك! وطالما طرق النُّهى
وحىٌ ، ولم تظفر به عينان

أنا فى جناحك حيث غاب مع الدجى
وإن استقر على الثرى جثمانى

أنا فى لسانك حيث أطلقه الهوى
مرحا ، وإن غلب السرور لسانى

أنا فى ضميرك حيث باح فما أرى
سرا يغيبه ضمير زمانى

أنا منك فى القلب الصغير ، مساجل
خفق الربيع بذلك الخفقان

أنا منك فى العين التى تهب الكرى
وتضن بالصحوات والأشجان

طِرْ فى الظلام بمهجة لو صافحت
حجر الوهاد لهمّ بالطيران
تغنيك عن ريش الجناح وعزمه
فرحات منطلق الهوى نشوان
فرحات دنيا لايكدر صفوها
بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتنى بالأمس سرك كله :
سرُّ السعادة فى الوجود الفانى
سرُّ السعادة نفرة ومحبة
فيكم تؤلف نافر الأوزان
الكون أنتم فى صميم نظامه
وكأنكم فيه الطريد الجانى
أنتم سواء كالصديق وبينكم
بعدٌ كما يتباعد الخصمان
لايحمل الطيار وزر العانى
حمل ابن آدم عشرة الأخوان
لا عالم منكم ولامتعلمٌ
كلا ! ولا متقدم أو وان
متشابهين على الحياة فكلكم
سارى ظلام ، هاتف بأغان
متفرقين على المقام ودأبكم
عند الرحيل تجمع القطان

وكأنما نسخت لكل نسخة
من هذه الأجواء والأوطان
فهو الشريك على نصيب واحد
وهو الوحيد فما له من ثان
ذخر الطبيعة منه تعطون الحجى
لا من سباق بينكم ورهان

* * *

أنتم بنى الطير المسبّح فى الدجى
فيكم كهانة صالح الكهان
بعتم كرى الغافى وطِيبَ رقاده
وبه اشتريتم يقظة اليقظان
قل ما اشتهيت القول يا كروانى
فى لهو ثرثار وحلم رزان
سأعيش مثلك لى وللدنيا معًا
وأقول مثلك كيف يزدوجان
وأظل تزدحم الحياة بمهجتى
أبدا ويجتنب الزحام مكانى
فى عزلة أنا والحبيب تؤمنا
دنيا الجمال ، ونحن منفردان

* * *

الليل يا كروان

الليل يا كروان — بشراك طاب الأوان
بشراك ؟ بل أنت بشرى — تهفو لها الآذان
سهران فى الليل شادٍ — فكلنا سهران
وإن تكن أنت حلماً — فكلُّنا وسنان
وسنان لم يشْـهُ قلب — له ولا أجفان
النوم فى الصيف وزرٌ — وفى الهوى كفران

* * *

الليل يا كروان — ما أنت والنسيان
حاشاك ما أنت ساه — عنه ، ولا كسلان
الليل ذكرى وأنت الـ — ـمذكر اليقظان
لكنما أنت روحٌ — وهل لروح مكان ؟
بينا يقال قريبٌ — كأنه الوجدان
إذا به فى صداه — كأنه كيوان (١)
إن كان فى السمع طيف — فأنت يا كروان
صوت ولا جثمان — لحن ولا عيدان
كأنه هاتف فى — فضائه حيران
أو رجع صوت قديم — يعيده الحسبان

* * *

الليل يا كروان — فأين منك البيان ؟

(١) النجم عطارد ، وهو إله الغناء والفنون فى عرف الأقدمين .

ليل الطبيعة صمتٌ — وأنت فيه لسان
وظلمة الليل سرٌّ — فاقرأه يا ترجمان
ما فى الظلام ظلام الحـ — ـياة لو يستبان
إلا صياح اشتياق — تروضه الألحان
نصف الحياة اضطراب — ونصفها أوزان (١)

* * *

الليل والصيف والحب — كلهن أوان
وأنت منهن طرّاً — على وعود تصان
خذ صمتهن وصغه — شدوًا له سريان
غص فى قرار الدياجى — فللدجى شطآن
واستقبل النجم علوا — إن النجوم حسان
وخذ من الصيف نارًا — لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دورًا — دارت له الأكوان
فى الأرض بيتك ثاوٍ — وفى السماء افتنان
وبين ذلك ملهىً — للحب ، بل ميدان
واللهو فى الحب فاعلم — كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا — يا ابن الليالى أمان
شادى الغرام له من — سكر الغرام ضمان

* * *

الليل يا كروان — والعالم الغفلان

(١) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع ، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم ، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن ، والشعور الفنى هو الحياة الكاملة .

ونسمة الصيف تسرى — وفى يديك العنان
والصبح أول مرسى — يرتاده الركبان
ألا تزاور(1) عنه — فى الرحلة الريان ؟!
وما ارتضاه ولكن — سما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفسًا — عزيزة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى — إلى غد أو أذان
الليل يا كروان ! — الصبح يا كروان !

* * *

سؤال الكروان

حذار البأس أو حب الجمال
هتافك فى الدجى يا ابن الليالى؟
ومن يقظات نفس فيك نشوى
تعاف النوم أم من سوء حال
وعندك للنجوم هوى قديمٌ
أو أنك كارهٌ للصبح قال
وهذا الطير ينعم فى ضحاه
فمالك فى النعيم بلا مثال ؟
أضل الطير ويحك عن هداه
أو أنك أنت وحدك فى ضلال ؟!

(1) تزاور : انحرف وأعرض .

وأين من الضلال هتاف حر
تنزه عن نشوز وابتذال

* * *

وقالوا ما شدا الكروان إلا
ليسأل عرسه قوت العيال
وقالوا تسرق الأعشاش عمدًا
على كسل وضعف فى الخصال
وإنك بالتراب شبيه حال
وبالديدان منهوم مغال
سألت وما أرى لك من جواب
سوى اللحن الشجى على سؤالى
سأسمع منك أنغام الليالى
وأسمع عنك أشتات المقال
ولا آلوك إصغاء ووصفًا
كلا الأمرين من همى وبالى
أبا الكروان - يا مظلوم - تدعى
وأنت عن الكرى المحبوب سال ؟!
بحسبك أنهم كذبوك جهرا
وأنك صادق الهتفات عال
وأنك مفرد فى الطير لحنا
وما استفردت فى تلك الخلال
إذا شابهتها فى النقص حينا
فأين المشبهاتك فى الكمال

غنِّ يا كروان

قم غـن يـا كـــــــروان غـنً
وتمـنً فـى الـدنـيـــــا ومنًـى
وأمـن دجـــــاك وإن عـــرفـ
ـتك فـى الحـــيـــاة قليل أمن
فـيـم المخـافـــة يا سـمـيـ
ـر الليل أو فـيـم التـجـنـى ؟
لا أنت جـزل فـى الصـحـاف
ولسـت فـى قـــفـص تُغـنًـى
كـــلا ولا فـى خـــافـــقـيـ
ـك الحـــائلين بـريق حـــسن
والصـــقـــر نـام وأنـت وحـ
ـدك تمـدح الـدنـيـــا وتـثـنـى
لـك كـل مـــا دون الـكـوا
كب مـن سـمـــاك الليل مـبنى
فـــأمـن زمـــانك أو فـــخـف
فـــالطـبـع دون الـرأى يـغـنـى
إنـي أخـــــالـك لـو أمـنـ
ـت لما هـتـــفـت لـنـا بـلحـن

* * *

ما أحب الكروان !

مـــا أحـب الـكـروان !
هل سـمـــعـت الكروان ؟

* * *

مـوعـدى يا صـاحـبى يوم افـتـرقنا
حيـث كـانت جـيـرة أو حـيـث كنا
هاتف يهـتـف بالأسـمــاع وَهْنا (١)
هـو ذاك الـكـروان ، هـو هـذا الـكـروان !

* * *

الـكـراوين كـثـيـر أو قـليل
عـنـدنـا أو عـنـدكـم بـين النـخـيـل
ثم صـوت عـابـر كـل سـبـيـل
هو صوت الكروان فى سبيل الكروان

* * *

لـى صـدى مـنه فـلا تـنس صـداك
هـو شـــاديك بـلا ريـب هـنـاك
فـإذا مـا عـسـعـس الليل دعـاك
ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكروان ؟

* * *

(١) الوهن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

مفرد لكنه يؤنسنا
ساهر لكنه ينعسنا
صدحت فى نفسه أنفسنا
فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان !

* * *

واحد أو مائة ترجعه
عندنا أو عندكم مطلعه
ذاك شيءٌ واحد نسمعه
فى أوان وبيان ، هو صوت الكروان

* * *

واحدٌ بين عصور وعصور
نحن نستحيى به تلك الدهور
لم يفتنا غابر الدنيا الغرور
فى أوان الكروان ، ما أحب الكروان !

* * *

على الجناح الصاعد

حادى الظلام على جناح صاعد
يا أرض اصغى ، يا كواكب شاهدى !
يا أنسين بصحبة من وجدهم
نصوا المسامع للأنيس الواجد

يا ساهدين على انفراد فى الدجى
ردوا التحية للفريد الساهد
المستعز بعرسه ، وكأنه
منها نجى مغاور وفراقد
لهجت طيور بالضحى وتكفلت
بالليل حنجرة المغنى الخالد
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أبدا ، وما هو آمن لمساعد
أنا صائد لصداك ، لست بصائد
لك أنت يا كروان ، فأمن صائدى
بينا أقول هنا إذا بك من هنا
فى جنح هذا الليل أبعد باعد
ووددت يا كروان لو ألقيت لى
صوتين منك على مكان واحد
إن كنت تشفق أن أراك فلاتزل
فى مسمعى وخواطرى وقصائدى
عاهدت هذا الصيف لست بواهب
سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كان قد أغنى الطبيعة كلها
مغنى عن شاد سواه وشائد

* * *

ألف صدى

ألف صدى لهاتف   منفرد على الذرى ؟
أم ألف شاد رددت   هتافها مكررا
أم ذاك روح أطلقو   ه فى الدنى محيرا
فرادها مستغربا   وطافها مستبشرا
فلايقال مقبل   حتى يقال أدبرا
هن كراوين الليا   لى أو فقل هو الكرا[1]
لانقص إن قلت ولا   مزيد فى أن تكثرا
باركها من بارك الخلـ   ـد وما قد أثمرا

* * *

شدو الآمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سفرا
ولف ظلماءه أو أطلع القمرا
ما أنت بالليل مفتونا ، ولا كلفا
بالنجم ، أو بظلام الليل حين سرى
وإنما أنت مفتون بعزلته
وبالأمان الذى تلقاه مستترا

(١) الكرا : ذكر الكروان .

وبالحبيب الذى يدعوك مرتفعا
فى ساحة الليل ، أو يدعوك منحدرا
إذا شدوت فما أدرى أذو كلف
ناغى الهوى أم نذير فاجأ الخطرا
سيان يا كروانى القلب مستعرًا
بالشوق أو بضرام الخوف مستعرا
إن كان شدوك أمنًا فاشدُ فى دعة
أو لا فلازلت مذعور السُّرى حذرا !

لمن الفضل ؟

كروان الليل رتل للهوى   آية الحمد . وحمد القطن
هو أغراك بشدو وثنى   لك سمع العاشق المفتتن
لك إلفٌ منه تستوحى ، ولى   أنا إلفٌ وحيهُ ينطقنى
أنت لولا نفحة من حبه   ساكن عندى ، وإن لم تسكن
صامت الفن ـ أخا الفن ـ وإن   صدحت ألحانه فى أذنى
غار حبى منك فاسمع إننى   عنه أروى كل شىء حسن
وله الفضل ومنه الوحى لا   منك فى كل مقال بين

* * *

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته .

القمارى العارفة

ملأت دارى القمارى غناء
ويحها ! هل يكشف الطير الغطاء
عرفت عندى ربيعا بعدما
رهبت من ظلمة الدار الشتاء
عرفتنى العام أم كانت هنا
كل عام تمنح الدار الولاء
لم أكن أحفلها حتى إذا
صدح الحب تسمعت الغناء !

ببغاء (1)

ببغاءٌ ترنمتْ	بمديح البلابل
أين منا بلابلٌ	مسرعات المراحل
فى سماوات موطن	ليس منها بآهل
بالكراوين عامر	والقمارىُّ حافل
ناج ما أنت سامعٌ	يا أسير الأوائل
اسلُ عن عاجل بذى	صحبة غير عاجل
ما اشتغالٌ بمورد	لستَ منه بناهل

(1) الببغاء تحكى ما تسمع دون أن تعقل ، وكذلك يكون الشاعر الذى يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه ، فهو فى مصر نادر لا يزورها إلا فى رحلة عاجلة .

وانصراف عن الذى	أنت منه بساحل
أنت عندى بذا وذا	جاهلٌ أى جاهل
ناقلٌ لهفة الصدى(1)	أو شبيه بناقل
فى الكراوين غنيةٌ	عن نشيد البلابل
والقمارىُّ مالها ؟	أصغ واسمع ، وسائل
إن تعدَّاك قولها	فالتمس وصف قائل

* * *

شدو لا نوح

شدوُ القمارىِّ لانوح القمارىِّ
هل يعبر الحزن بالشادى الصباحىِّ؟
أو الربيعىُّ فى أنس وفى أمل
وفى غرام على الإلفين مطوىٍّ ؟
يا حسنها من بشيرات على دعة
كأنهْا أمنت فوت الأمانىِّ
محبَّبات إلى الإنسان تألفه
وتعتلى من ذراه كلَّ علوىِّ
تهوى الديار ، وفى الآفاق مطلعها
ما بالها ؟ هل سباها حسن أنسى؟
وللأناسىِّ حسنٌ لا أبوح به!
هل تعرف الطير ما حسن الأناسى ؟

(1) الظمأ .

غنّتْ لزهر وسلسال ولو رشفت
زهر المباسم جُنّت بالأغانىّ
أوْلى لقُمريِّنا أن لايحوم على
يأس الهوى بين أنسى و«طَيْرىّ»
غَرِّدْ على الدور يا قمرىُّ فى دعة
واسلم هنالك من باك ومبكىّ
واتلُ الرجاء على هذا وذاك ، ولا
تسألهما عن جوى فى القلب مخفىّ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها
من سلوة ، أن فيها شدو قمرىّ

* * *

شفاعة للغراب

حيِّى الغراب الفجرَ بالنعيب   تحية التهليل والترحيب
وافترَّ نور الفجر كالجيب   فى غير ما لوم ولاتثريب
لهاتف ناداه من قريب

* * *

ماذنب ذاك الناعب المسكين   ألا يحيى النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ؟   ألا تدين كلها بدين ؟
فماله يُعذل كالرقيب ؟!

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب   فى الأسود المهجور فى الخراب
ما الصَّيدحُ الهاتف بالعجاب   أصدق حبّاً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعهُ والطير فى أوان   وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجانى
صوت حبيبى بادىَ الحنان   لذلك الموعود بالحرمان
وما له فى الحسن من نصيب

* * *

أمنت منه لوعة الفراق   وكلٌ غاق عنده وقاق
فلايزل ينعم بالإشفاق   من الرياض الفِيح والآفاق
ومنك يافجر ، ومن حبيبى

* * *

عادات الغراب

بئس الغراب إن ذكرتُ بصوته
عطف الحبيب عليه كلَّ صباح
أبدًا يقاطع كل شاد حوله
كمعطِّلى الإنشاد فى الأفراح
فإذا شدا الكروان أتبع شدوه
بصياح شؤمٍ منه أو بنواح
وإذا ترنَّمتْ القمارىُّ انبرى
مابين تنعابٍ وخفق جناح

حسدًا ولؤمًا ، أو غرورًا لم يزل
دأب الحسود وديدن الملحاح
لاعاد فرعٌ كان ينعب فوقه
فرمته فأس الحاطب الجتاح

* * *

نعب على عشه

هدموا دار الغراب　　وابتلوه بالخراب
قطعوا الدوحة قطعا　　ورموها فى التراب
ليت شعرىَ من هُنا النا　　عب يا رب النُّعاب
لستَ بالمأمون فاذهب　　غير مبكىٍّ الذهاب
أنت آذنت بخوف　　فى هوانا وارتياب
لم تصن عهدًا لمن حا　　طك بالعطف العجاب
لحبيبٍ بات يرثى　　لك من سخر الصحاب
فامض فى غير وداع　　وانأ فى غير اقتراب
وخذ الغربان طرًّا　　مؤنسات فى الركاب
من ذوات العش فى النفس وفى هذى الرحاب
رب شك هو فى الأنفس شر من غراب !

* * *

سحر الطير

كل إلف له من الطير إلف
هكذا تجمل الحيا وتصفو
أملٌ يرتقى ، وحبٌ يناجى
ولسان يشدو ، وقلبٌ يرف
بك خفقٌ الجناح يا أيها الطـ
ـير ، وما كنت بالجناح تخف
لطف روح أعار جنبيك ريشًا
فمن الروح لامن الريش لطف
ليس ينميك للسماء جناح
بل غناءٌ عن الضياءِ يشف
إن مضى الناس يعجبون قديمًا
كيف تعلو ؟عجبتُ كيف تُسف
ثقلةٌ فى الحياة لم ينج طبعٌ
من عراقيلها ولم يخلُ عرف

* * *

غزل ومناجاة

ارتجال المنى

منّى أطيب المنى يا حبيبى ... فالمنى وحدهن منك نصيبى
إن يَفُتنا منالها لم تفتنا ... نظرة من خيالها المرقوب

* * *

منّى ، بل دع المنى يا حبيبى ... فشقائى فى الموعد المكذوب
هان فقد المنى التى لم تَعِدنا ... وافتقاد الموعود جد صعيب

* * *

أعطنى! أعطنى إذن يا حبيبى ... غير ما ناكث ولا مستجيبِ
أعطنى صفوك ارتجالا ودعنا ... من مطالٍ بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحب لنفس ... شبعت من رويّةِ التجريب

* * *

متى ! (1)

متى يا عيون يعود الضياءُ ؟ ... متى يا رياض يعود الربيع ؟
متى تأمرين ؟ متى تأذنين ؟ ... متى تقبلين دعاء الشفيع ؟

* * *

متى يرجع الغائب المرتجى ... إلى صدر أم براها السقام ؟
متى يهبط النوم تحت الدجى ... لعينيك يا ساهرًا لا ينام ؟

* * *

(1) إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه : متى يعود إليه ؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التى تتردد فى هذه القصيدة .

متى يطلع النجم للتائهين ؟ ... وقد غرقوا فى ليالى الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين ؟ ... وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ... ء فى الماءِ يطفئُ حر الصدى
وفى الزاد يبقى ذماء الحيا ... ة ، وفى الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى ؟ إى وربك قل لى متى ؟! ... وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى ... ولا من مُلاقٍ له فى غد ؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب ... وأنت بأحلى مثال تجود
عشية تبسم عند الودا ... ع وتسأل : فى أى يوم أعود !

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ ... قلتُ : حقاً . وزاد عندى جمالا
عجبًا لى . بل العجيبة عندى ... صور الكون كم يسعن كمالا
خلتُنى قد وعيتهن عِيانًا ... وتتبعت من وَعوها خيالا
شاعرًا عاشقًا وقارئَ كُتْبٍ ... قرأ الكتب دارسًا ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدى ... صورًا ما طرقن عندىَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحـ ... ـب نعد الأكوان والأجيالا

* * *

النبض

رأوا فما عرفوا ، كلا ولا عجبوا
ولا دروا بالذى أرجو وأرتقب
كأنما أنا من أمسِى ومن غده
لم يختلف قط لى شجوٌ ولا طرب
فى مهجتى أملٌ فاضت بشائره
فمالهم حُجبوا عنه ، وما حُجبوا
فلو تشيم ضياءَ القلب أعينهم
لأبصروا فيه عين الشمس تقترب
كالفجر تسرى على مهل طلائعه
أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب
الحمد لله ! لا شاموا ولا نظروا
ولا درى جاهلٌ منهم ولا أَرِبُ
لو أبصروا الموعد الموموق مقتربا
لجفَّلته إذن من لؤمهم رِيَب
وهبٌّ للشر منهم عسكر لجبٌ
إن يطلبوه لخير عزَّهم طلب
يا أيها الناس قرُّوا فى مضاجعكم
إنى وحقكم أسوانُ مكتئب!
أسوان مكتئبٌ لا الحسن يفرحنى
ولا الحبيب له فى فرحتى أرب

وهاكم النبض جسوه . أعندكم
تحت الأضالع قلبٌ خافق يثب
كلا وحقكم ! لا كان حقكم
إلا اليمين التى يحلو بها الكذب !!

* * *

اليوم الموعود

يايوم موعدها البعيد ألا ترى
شوقى إليك ، وما أشاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجذب لى غدًا
من وكره ، ويكاد يطفر من دمى
أسرِعْ بأجنحة السماء جميعها
إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها
وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ماضرٌ دهرك إن تقدم واحدٌ
يايوم من جيش لديه عرمرم

* * *

لى جَنةٌ يا يوم أجمع فى يدى
ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهى
لاتحتمى منى ولا أنا أحتمى

وتطوف من حـولى نوافـر غُـصْـمـهـا
ليست بمحجـمـة ولست بمحجم
وتـلذُّ لـى منهـــا الـوهـاد لـذاذتـى
بتـــصــعُّــد فى نجــدها وتسنُّم
لم آسَ بين كـــرومـــهـــا وظلالـهـــا
إلا على ثمـــر هناك مـــحـــرَّم
فكأنما هى جَنة فى طيِّـــهـــا
ركنٌ تسلل من صـــمـيم جـــهنم
أبداً يذكّـــرنى النعـــيمُ بقـــربهـــا
حـرمـان مـزءود(١) وغـسـرة مـعـدم
وأبيتُ فى الفـــردوس أنعم بالمنَى
وكـــأننى من حـــســـرةٍ لم أنعم

* * *

يا يوم مـــوعـــدها ســـتـبلغنى المنى
وتُتم لى الفـــردوس خـــيـــر مُـتَـمَّـم
لا غـــصن رابيـــة تقـــصِّـــر راحـــتى
عنه ، ولا ثمـــر يعـــز على فـــمى
ســـأظل أخطر كـــالغـــريب بجنتى
حـــتى أثوب على قـــدومك ، فـــاقـــدم
فـــأبيتُ ثم إذا احـــتـــوانى أفـــقـــهـــا
لـــم أنـــهَ عـــن أمـــل ولـــم أتـــنـــدم

(١) المزءود : المفزع المدفوع .

فـرحى بصحبك حين تشرق شـمـسـه
فـــرح الضـــيـــاء ســـرى لطرفٍ مظلم

* * *

أمـعـيـرتى خلد السـمـاء سـمـاحـةً
صـــونيـــه من ولَه صـــيـــانةَ مكرم
رفـــقًـــا بخلدك أن تشـــوبى صـــفـــوه
إن لم ترىْ رفـــقًـــا بمهـــجـــة مـــغـــرم

* * *

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمرْ ... نظيـران يسـتـبـقـان النظر
جمعتـهـمـا أنا فى لثـمـة ... أو البـدر قـبَّله فـابتـدر ؟
فـمـازال يلحظه جـهـرة ... ويغـمـزه من وراء الشـجـر
ويزعـمـهـا قـبلة من أخ ... ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ... ـب ولو شئت كللته بالزهر
لكن كـرمتُ فَـخُـذ يا قـمرْ ... من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سـهـا الليل عنا وعن بدره ... وهز الحبيب حنين السـهـر
فقال وقد فاض منه الرضى ... وسُـرَّ بفـيـض رضـاه وسَـر
على مـثل هذا تطيب الحيا ... ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ... ة ، أنت شـفيع لهـا مُـدَّخـر
لأجلك يصفو لها من صفا ... وباسـمك يعـذرها من عـذر

شعر وشعر

أمن شعر ؟ نعم ! شعرٌ وشعرٌ
وخفقٌ فى الجوانح لا يقر
فمنى الوزن فى خفقات قلبى
ومنك الوحى والحسن الأغر
وتسألنى كأنك لست تدرى
ومالى غير ما أوحيتَ سر
وأحرى بى سؤالك عن قصيدى
فما لى فيه - بل لك أنت - أمر :
أننظم فى غدٍ أم لات نظم
على ما ترتضيه ولات نثر ؟
وعن شفتيك لاشفتى أروى
عشية يلتقى ثغر وثغر
فلقّنّى أجبك ولا تسلنى
سؤال الشمس هل سيلوح فجر[1]

* * *

(١) ليس للشمس أن تسألنا : هل يلوح الفجر ؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هى ، وكذلك الحبيب لاينبغى أن يسأل الشاعر : هل ينظم شعراً ، لأنه ينظمه بوحيه .

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ فى البحر والسماء
جربها «مفصِّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ فى الأزياء
مجوَّد الإتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزَّبَد الوضَّاء
زيَّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسيماء
ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء
وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبَّلٌ مبتسم الأضواء
مردَّد النغام والأصداء
وقبلةٌ منه على رضاء
غنى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء[1]
وعنك يا دنيا بلا استثناء

(١) الشآبيب : أول مايظهر من الحسن ، وشدة اندفاع كل شىء ، والدأماء : البحر .

يوم

ذهب الليل ودار الملوان (١)
وشدا قبل الصباح الكروان
وتحداه الغُدافىُّ (٢) الذى
تبسط الرفق عليه والحنان
ومشى الصبح على مهل كمن
يطرق الدار على غير أمان
وتلمستُ هنا تغريدةً
فى فمى تصدح فى هذا الأوان
قُبلة منك هى الفجر ، وفى
طيها تبدو ثناياها الحسان
عن شمالى كلما ولى دُجى
وسرى فجر ، وحنت شفتان
وتراءت نظرة ناعسة
عند أخرى ، فتلاقت نظرتان

* * *

بأن ليلى ! لاتسلنى كيف بان
أنت تدرى ، فاغتفر عىَّ البيان
كلما يممتُ دارى قلتَ لى
أجناحان لنا أم قدمان ؟!

(١) الليل والنهار .　(٢) الغراب - راجع ما تقدم .

فأتيتُ الدار لا أحسبها
قربت قط ، ودونى خطوتان
لم أكن أطلبها ويحى ولا
أطلب المهرب منها حيث كان
أين أمضى ؟ أين تحدونى الخُطا ؟
ضاقت الدار ، وضاق المشرقان
راعنى نقصٌ بعينى ويدى
وفمى الصادى ، وقلبى ، واللسان
خلتُنى بُلِّغت منها غيرها
ولو استبدلها الخطب لهان
أهزيعٌ منك يا ليل مضى ؟
أمضى نصف ؟ أما ينشطران ؟
بأن ليلى ! لاتسلنى كيف بان
حاطك الله من الليل وصان
إى وربى بان لك بعد ما
نفدت ساعات عمرى فى ثمان
لا زمانٌ حيثما لاقيتنى
فإذا فارقتنى كان الزمان

* * *

طلع الصبح حزينًا عاطلاً
أتُراه كان بالقرب يُزان
وسرتْ أنفاسه يا حسرتا !
أين أنفاسك يا زين الحسان ؟

نسمات الصبح أورت (1) كبدى
فحجبت الأنف عنها والعيان
وتمشيت إلى كتبى على
مضض منى ، وللكتب أوان
يا أبا الطيب لاتهرف ويا
صاحبى الرومىّ ما هذا الرطان ؟!
شعراء الشرق والغرب أما
تملكون الصمت يومًا فى عنان ؟!
أو فهاتوا الشعر لى صرفًا بلا
أحرف فى الطرس منه أو معان
أفرغوه جملة فى خاطرى
ليس لى بالطرس والدرس يدان
رُبَّ شعر شاقنى لمّا تكدْ
شفتا قائله تنفرجان

* * *

وتجلى الباب لى عن زائر
من أودّائى كأنّا أخوان
فتعلّمتُ ولبى شارد
كيف يُكسى الود ثوب الشنآن(2)
قال لى : «الأفق جميلٌ» قلت : لا
بل دميم . قال : زاه . قلت : قان !

(1) أورى الزند : أخرج ناره . (2) البغض .

قال : زيدٌ . قلت : حاشا . فانثنى
نحو عمرو . قلت : كلا . بل فلان !
فمضى يعجب منى سائلا ؟
أسلام ؟ قلت : بل حرب عوان

* * *

ذهب اليوم وما أحلكه
كان من يوم نماه النَّيِّران
لم يكن فى صبحه أو ليله
حظ عين ، أو لسان ، أو جنان
ذاك يومٌ يا حبيبى واحدٌ
وغدٌ منه غنىٌّ عن بيان

* * *

الحب المثال

كأنّىَ مثّال وحسنك تمثالى
عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده
من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلبٍ فيك تسرى كأنها
خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكال الخيال وتنثنى
وقد أسعدت منك العيان بأشكال

إذا ما تمشّت فيك معنى لمستُها
محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحت عينى فأنت مجيبها
فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى
غنىٌّ على وفر من الوقت والمال[1]
فما فيك من نقص ولكنما الهوى
نوازعُ شتى لاتقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى
لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دمية
لها زينتاها من حياة وإقبال

* * *

ساعى البريد

هل ثَم من جديد   يا ساعى البريد

* * *

لو لم يكن خطابى   فى ذلك الوطاب
لم تطو كل باب   يا ساعى البريد

* * *

ما ذلك التنسيق   والجمع والتفريق
والقفز والتعويق   يا ساعى البريد ؟ !

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجه به إليها . وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

كسوتك الصفراء   والخطوة العرجاء
يمشى بها الرجاء   يامحنة الجليد

* * *

لو لم تكن جمالا   فى مشية العجالى
صغنا لك التمثالا   من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات   فى حاضر وآت
إلا على الميقات :   ميقاتك الوئيد

* * *

فى شرفتى أبتكر   غيرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر   يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها   أماتنى بميتها
لقيتها ! لقيتها   يا ساعى البريد

* * *

جددت لى انتظارى   وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار   وطلعه النضيد

* * *

أكرمْ به من ثمر   منتظر مدخر
فى كل يوم مزهر   مبتدئ معيد

* * *

يا طائفا بالدور   كالقدر المقدور
بالخير والثبور   فى ساعة البريد

* * *

فى لحة تنتشر   منك المنى والعبر
وأنت ماض تعبر   كالكوكب البعيد

* * *

كن أبدًا مريدى   بالخبر السعيد
وبابتسام العيد   يا ساعى البريد

* * *

عجب الساعى

عجب «الساعى» الذى كنتُ له
أبدا فى شرفتى منتظرا
إنَّ من تحضر لى أخباره
أيها الساعى بخير . حضرا
ألق إن شئت وطابًا حافلاً
لا أبالى لحظة إن صفرا
الطريق الآن لا أرقبه
لأرى وجهك . لكن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العذر ، فلا
تظهر الآن . فها قد ظهرا
لا تذكرنى نواه بعد ما
كنت تروى عنه ذكرًا عطرا

* * *

الليلة الفطيم

بكت الليلة الفطيم شجاها
ما بكاء الفطيم بين الشدِىّ
الشدىُّ الحسان تبغى رضاها
ما لثغر الفطيم غير رضىٍّ ؟
لو أرادت لكان عند مناها
كل صدر ، وكل نهد شهىٌّ
أمها ! أمها ! وليس سواها
ذات صدر على الشفاه ندىٌّ

* * *

ليلتى . ليلتى الحزينة صبرًا
ليس هذا الفطام بالأبدى
سوف تُروين من أُميمك ثغرًا
فارضعى الآن من دموع الشجى
واذرفى هذه المدامع غزرًا . . .
هل يضير البكاء عين الصبى؟
من أذاب الشقاء عينيه شهرًا
فى ارتقاب النعيم غير شقى

* * *

قبلة بغير تقبيل

بعد شهر - أنلتقى بعد شهر ،
بين جيش من النواظر مَجر ؟ (١)
لم يحولوا - وحقهم - بين روحيـ
ـنا ، وإن ألزموهما طول صبر
تمت القبلة التى نشتهيها
كلها ، غير ضم ثغر لثغر
تم منها شوق ، ورفٌّ شفاه
وهوى نيةٍ ، وخفق صدر

* * *

الحلم السالب

سبق الكرى يومَ اللقاء فنلته
فى غفوة تغفى العيون لكى ترى
حلم على اليقظات جارٍ فليته
فى جوره أبدا يعود مكررا
لم يظلم اليقظات فهى إذا وفت
بلقائه ، سلبته من حلم الكرى
ما وعده إلا سعادة حالم
فالنوم كان به أحق وأجدرا

* * *

(١) الجيش المجر : العظيم .

والحلم المنتقم

لما تمليتُ فى الرؤيا محاسنه
هتفت لليل والظلماء والحلم
هذا انتقام الكرى من بطء موعده
وللكرى ربةٌ مشكورة النِّقم
يغار من طيفه السارى فيمطلنى
كأنما قال لى بالمطل : لاتنم !

* * *

فى البعد والقرب

لن يطيب البعد يومًا لن يطيبا
هنْ علىَّ اليوم إن كنت حبيبا
لاتكن نارًا من الشوق ولا
دمعة حرى ، ولا قلبًا كئيبا
لاتكن صحراء فى البعد وقد
كنت لى فى القرب بستانًا رطيبا
إن تغب شمسًا فأوص النوم بى
قبل أن تعرض عنى أو تغيبا

* * *

يا حبيبي - بل فكن ما كنت لى
صانك الله بعيدًا وقريبا

واجعل الأنس نصيبي فإذا
غبت عني فاجعل السهد نصيبا
كن نعيمًا وعذابًا ، ومُنى
تملأ النفس ، وحرمانا مذيبا
هكذا الحب دواليك فمن
لم يكنه ، لم يكن قط حبيبا

* * *

قراءة

على كتفي تمشي بعينيك في الطرس
عجولا إلى شعري حريصًا على لمسي
كأنك لم تحمد مدى الصوت وحده
فسابقته بالعين حينًا وبالحس
وعانقتني تستوعب الشعر حيثما
سرى في ثنيات الجوانح والنفس
هنالك أدرى أن للشعر مجلسًا
إلى جانب العرش السماوي والكرسي

* * *

تسلَّم

تسلَّم هذه الدنيا   كما خلفتها عندي
وحاسبها على قرب   بما تجني على البعد

* * *

تسلَّم هذه الشمـ   ـس التي تؤنس أو تهدي
لقد كانت هداها اللـ   ـه مكسالا من المهد

تجوب الأفق في جهد   وما تسرع بالجهد
وكانت تحجب الأنو   ار أو تُبدي فلاتجدي
وكانت شعلة حرَّى   من اللوعة والوجد

* * *

تسلَّم هذه الأطيا   ر واسألها عن العهد
تُغَنّي الآن فاسألها   أغنت قط لي وحدي ؟
وإن غنَّت فهل كا   ن سوى نوح لها مُعْد
وإنْ أعدَت فهل تُعدي   بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها اللـ   ـه : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف   وأين تحية الفرد
لقد كانت لحاها اللـ   ـه تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها   وفيم تضن أو تسدي

* * *

تسلَّم أنجم الليل   بلا عدٍّ ولا حد
تسلمها وكاشفها   بما تخفي وما تبدي
وسلها كيف ضلتني   وما ضلت عن القصد
وفيم تغامز منها   إذا حيرني قيدي
نعم قيدي الذي في النـ   ـفس لا في صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ   ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلَّم زهرك المحبو   ب في السهل وفي النجد
تراه ضاحك العين   تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ   ـس حتى لاذ بالرشد

فــلا يلهـــو ولا يُوصى ... بغـــيـــر الهـم والزهد
فـمــا عن لومـــه فى ذا ... ك يا مـــولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيــــا ... كـمــا خلفـتـهـا عندى
بحـــمــــد الله تلقــاها ... كـمـا تلقـاك بالحـمـد
فـخـذها راضيــا عنها ... وعـــنــى وعـــن الــود
وعلمـــهـا إذا مـا عـدت ... ـ لاعــدت إلى البـعـد
أمــانا فى مــغـيـب منـ ... ـك أو فى مـحـضـر رغـد
فـمـــا تسمع لى قــولا ... إذا ناجـيـتـهـا وحـدى !

* * *

الفنجان

أتؤمن بالفنجــان ! لا يا صـديقـتى
بشـغـرك لا الفنجـان أصدق أيمانى
إذا هو أعطانى الســعــادة فلتكن
نبـوءتهـا فى الكأس أوسؤر (١) فنجان
وإن يكن المغــزى هناك خـرافــة
فـشـغـرك صـدق فى ابتـسـام وتبـيـان
وفى كـــوثرى من رضـــاب مـــعطر
وفى جـــوهرّى من ثناياه فـــتـــان

* * *

(١) السؤر : ما يبقى فى الإناء .

قربَـــى

تقـــربى لله بالدعـــاء ... وأنت قُربَى الأرض للسماء
ليس مكان فى السماء كلها ... عن شـاعـر أو عـاشق بناء
رب صـلاة علمت مُـصليا ... إجـابة الصـلاة والرجـاء
ورفـعت من طينة الأرض إلى ... عـرش الضـيـاء سُلَّمَ ارتقـاء

* * *

كأس وضوء

هنا ـ ويا حسن مـاضمت هنا ـ قـدحٌ
تُغــوى قلوب العطاشى أىَّ إغـــواء
فـى كـل قـطـرة مــــاء ههـنـا أثرٌ
من قـالب الحـسن فى روح وأعـضـاء
مــرت بقـــدك تحكيـــه ، وربَّمـــا
حكى الوضـوء جـمـال الروح فى الماء
فلو تعود كـمـا لامسـتـهـا رسـمت
مـثـالك المقـتـدى فى مـهـجـة الرائى
تطهـــرت بك لما أن طهـرت بهـــا
عنـد المصلى ، وزادت حـــســن إيماء
وصافحت منك تقوى الروح فى جسد
يغـــزو التـــقـــاة بأشـــواق وأهواء
هذى خـلاصـة إنسـان مـقـدسـة
ليست خـلاصـة أعناب وصـهـبـاء

أمخطئ أنا إن أحسست فى كبدى
شوقين من نشوة فيها وإرواء
فكم أغالب من إغراء سكرتها
مالا يغالبه ظمآن صحراء
تنازع الدين والغى الهيامَ بها
وقربت بين إسعاد وإشقاء
فليت شاربها يدرى أحصته
عند الخضيراء أم عند الحميراء (1)
خوفى - ويا طول خوفى - أن تمزقنى
كلتاهما يوم إحيائى وإحصائى !

* * *

رقية السهر

تجلت آية الكرسـ   ـى ، ما أعلاه كرسيا
أظلّ سباتها عينـ   ـىّ حين لمست عينيا
أترقين من السهـ   ـد وما أبغى له رقيا ؟
سرورًا بك هجرانى الـ   ـكرى المحبوب والرؤيا
دعى الرقية للسهد الذ   ى يدعونه نأيا
وللنوم الذى ألقا   ك فيه حين لا لقيا

* * *

(1) الخضيراء : كناية عن الجنة الخضراء ، والحميراء : كناية عن جهنم الحمراء .

المنديل

تعاشق لحمة (1) وسدى
ورفرف خافقًا غردا
وآخت طرّتاه (2) يدا
على عهد الهوى ويدا
وقبل النسج كم ساغ الـ
ـصفاء سحابة وندى
وناغى الطيرُ صاحبَه
على شجراته ، وشدا
وعاشت فى الرضى شجرا
ته مخضرة أبدا
فيا منديل لا تبرح
بعهد الحب منعقدا
عريقٌ أنت يا مند
يل روحا فيه أو جسدا
إذا صنت الوديعة لى
فلا بدعًا ولا فندا

(1) لحمة الثوب : ما نسج عرضا ، وسداه : ما امتد من خيوطه .
(2) الطرة : طرف كل شىء وحرفه .

وإن تحفظ أمانتها
حفظتك أنت مجتهدا
سنسأل عن شذاك غدًا
وبعد غد ، وأن بعدا
فصن سرَّ السؤال لنا
ولا تخبر به أحدا

* * *

من الكتان يا نسا
ج ، فانسج كل ما خلدا
وعى خلد الفراء
سين ، وزان عروشهم أمدا
ومن يرض الحرير به
بديلا ساء ما اعتقدا
فماذا تنسج الديدا
ن من ذكرى لمن سعدا
وما الديدان والذكرى ؟
ومن ذكر اسمها جمدا ! (1)
هو الكتان يا نسا
ج ، فانسج منه منفردا

* * *

(1) الحرير من نسج الديدان ، وهى تذكر الإنسان بالموت والقبر ، فيجمد من يذكرها خلافًا لمن يذكر الكتان ، فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة .

بيوم كان للمنـ
يل قُدِّس لُحمة وسدى
وقُدِّس قبله مَن أنـ
بت الكتان أو حصدا
وقُدس مثله من قا
م عند النَّول أو قعدا
وقُدِّس كل من نادى
به فى السوق ، أو شهدا

* * *

حلم اليقظة

أين مضى الحلم الذى   كنت أراه ههنا
إذا صحوت والتفـ   ـت عن شمالى مَوْهنا (1)

* * *

كنتُ إذا ما قطَّعَتْ   نومىَ صحواتُ السهرْ
غبطتُ عينىَّ وأغضيـ   ـت عن النوم النظر

* * *

وكان عندى حلمًا   فى يقظة الليل المديد
أسمعُ من أنفاسه   نسمة فردوس بعيد

* * *

(1) الوهن والموهن من الليل بعد منتصفه ، أو بعد ساعة منه .

أســعــد مما فى الكرى   مـن راحـــــة ومن أمل
ومن خـيـــال لا يحـدُّ   ومـــعـــانٍ لا تمل

* * *

فــالآن أبشـر يا كـرى!   كل جـفـونى الآن لك
حـتى أعـود فـأرى   فى جـانبى ذاك الملك

* * *

ليلة

بـيـنـى وبـيـنـك لـيـلـة   يا ليلة القــرب الأمين
يا حـبـذا لو تسـرعـ   ـين ، وحـبـذا لو تطفرين
وإذا أتيت فـحـبـذا   لو تلبـثين فـتـخلدين

* * *

عروس الليالى

عـروس الليـالى تهـبط اليـوم من عَلِ
وتدنو على طول النوى والتـدلل
سَرَت بين شرقٍ من ضياءٍ ومغربٍ
وبين جنوبٍ من ضـيـاء وشـمـأل
كـأنى أراها من دهور بعـيـدة
لطول اشـتـيـاقى وجـهـهَـا وتأملى
فـيـا ليلة القـدر المؤمَّل أقـبلى !
تعـالىْ أقـبِّلْ منك كلَّ مـقـبَّل
خذى لك جثـمـانًا يضـمُّك عـاشقٌ
قليلٌ لديه صـورة المتـخـيَّل

وتيـهى بوجـه من صبـاحك مُشرق
وميلى بفرع من مَسائك مُسبل
سأبديك شـعـرًا يملأ السمع شـدوه
إذا ضنت الدنيـا بجـسم ممثل

* * *

ثـرثـارة

أراك ثرثارة فى غـيـر سـابقـة
فـهـات مـا شـئـت قـالا منك أو قِـيلا
مـا أحـسن اللغـو من ثغـر نقـبله
إن زاد لغـوًا لنا زدناه تقـبـيـلا

* * *

ثروة النصيب

مَنَّيْــتـنى بـالـثــروة الجلل
وبنيـت لى دارًا عـلى عـجـل
وإذا «النصـيب» أصـابنى احـتـفلتْ
دارى بحـسنك كل مـحـتـفل
حـسـبى إذا عـز البناء غـدا
فى سـاحـة بالسـهل والجـبل
دور تؤسـسـهـا وتعـمـرها
فى سـاحـتـين : الحب والأمل

* * *

قرنفلك

قرنفلك الذى يحكيك حسنًا   أتعلم أنه يحكيك سمتا[1]
تعدد لونه فتجنبوه   على حذر ، ولم تحذره أنتا
له عطر شبيه هواك فرد   وألوان من الإحساس شتى

* * *

النجوم السواغب

أرى أعينًا قد وصوصت فى سمائها
أتلك النجوم الناظرات سواغب ؟
موائد حب تشتهيها ودونها
مصاعب لاتجتازها وغياهب

نعمت بها فى ليلتى ، وهى فوقنا
تمدُّ لها ألحاظها وتراقب
ومسكينةٌ هذى الكواكب فى الدجى
ومسكينةٌ تلك الورود الشواحب
فهاك خذى من سؤر ما أنا شاربٌ
ثمالة كأسى كلها يا كواكب
وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلة
وخذ مثلها يا روض إنك غاضب

(١) السمت : الطريق ، وهيئة أهل الخير .   (٢) سهم وجهه : عبس وتغير .

غنىٌ أنا بالحب ، عاش الذى به
غنيت ، وإنى إن غنيت لواهب !

* * *

النيل الغاضب

أَساهمٌ[1] يا نيل؟ لست أدرى !   أم ناقم يا نيل طول هجرى
فرب شهر مرَّ بعد شهر   وعام سوء بعد عام شر
ولا بشفع زرت أو بوتر

* * *

لاقيتنى يانيل والحبيبا   كما تلاقى طارقًا غريبا
وزدتنا كيدًا لنا مريبا ،   أغريت يا نيل بنا الرقيبا
يكاد يحصى سره وسرى

* * *

وكيف يانيل إليك حجى   ولم أكن أخاف أو أرجِّى
بل كيف يهدينى إليك نهجى   وقد هوى نجمى وضل برجى

وعز قربانى ولاح عذرى

* * *

(١) سهم وجهه : عبس وتغير .

ذاك الذى كنتَ معى تراه　　غيرى إليك ربما دعاه
فقد هدانى كاهن سواه　　إليك يرعانى كما أرعاه
بعد ضلال فى الهوى وخسر

* * *

يا نيل أما الآن فالمزار　　عندى له المنسك (1) والشعار
فلايغيب فى الدجى نهار　　أو ينجلى عن بدرنا السرار
ألا سرينا لك حين يسرى

* * *

يا نيل فاشغل حولنا العيونا　　إذا وردناك مسبحينا
تلك عيون تكره السكونا　　ومن يحبون ويسعدونا
لا رضيت عنى ولا عن بدرى

* * *

نجوى النجوم

بحسبى الأنجم الزُّهر　　فلا شمسٌ ولا بدر
ترينا عزلة النجوى　　ففيها للهوى سر
وفى لحتها همسٌ　　كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ　　بأحفاد له سرُّوا :
خذوا الدنيا خذوا الدنيا　　وغروا العيش واغتروا
دريت الحكمة الكبرى　　فأدراكم هو الغر

* * *

(1) مناسك الحج : عباداته ، وشعائره : علاماته ومناسكه أيضًا .

بحسبى الأنجم الزهر　　فلا صبحٌ ولا فجر
سواحر تنبئ الأحبا　　ب ، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها　　وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشمـ　　ـس أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرت　　حبيبى ، ولها الفخر !

* * *

كلماتى

كلماتى ! كلماتى !　　صدق الوعد فهاتى
هل معينى وحيك الصا　　دق أو وحى اللغات ؟
أنا أستأديك (1) مالم　　تبلغيه بأداة
من معان تتعالى　　عن لسان ولهاة (2)
فاسألى الأرباب عن تلـ　　ـك المعانى الخالدات
أوسلى الصمت فكم صمـ　　ـت له علم ثقات
ينتهى شأو الأحاد　　يث إليه والرواة
وبه لاذ هداةٌ　　عرفوا وحى النجاة

* * *

انظرى يا كلماتى　　وأصيخى فى أناة
ما ضياء ثم فى الأفـ　　ـق ، وفى كل الجهات
لا من الأرض ولا من　　دارة الأفلاك آت

(1) استأداه الشيء : طلب منه أداءه .
(2) اللهاة لحمة مشرفة على الحلق .

لا تراه غـيـر عـينى   وهـو مـلء الـكـائـنـات
هل يرى الدنيـا امـرؤ لم   ير منه قـبـسـات ؟
كلمـاتى أنت فى وا   د من التـيـه شتـات (1)
اسـألى الأرباب عنه   أو سلى الصمت وهاتى

* * *

كلمـاتى مـا تقـولـ   ـين إذن يا كلمـاتى
ـمـا نعـيمٌ يمنح الكـ   ـف غذاء المهجات
تقـصـر الألبـاب عنه   وهو بعض اللمسات
فى يدى أدعـوه خـصـرًا   تارة أو زهرات
فى فـمى أدعـوه ثغـرًا   تارة أو قبلات
وفـؤادى ؟ مـا اسم مـافيـ   ـه إذن يا كلمـاتى
اسـألى الأرباب عنه   أو سلى الصمت وهاتى

* * *

نشـوات تلك ؟ لا بل   تلك فوق النشوات
يـقـظات تلك ؟ لا بل   تلك غير اليقظات
بلغت منهـا مـداها   وارتقت مرتفعات
تسلس اليـقظة للوصـ   ـف وتصـغى وتؤاتى
فـإذا جـازت مـداها   لزمت صمت السبات
كلمـاتى ! مـا تقـولـ   ـين إذن يا كلمـاتى
اسـألى الأرباب عنهـا   أو سلى الصمت وهاتى

* * *

(1) الشتات المتفرق .

لحظة تمنح قلبى   كل هاتيك الهبات ؟
لحظة ترفع عمرى   حقبا متصلات ؟
رب عمر طال بالرفـ   ـعة لا بالسنوات
لحظة ؟ لا بل خلود   لاح بين اللحظات
كالسماوات تراها   من شباك الحلقات
رب آباد تجلّت   من كوى (1) مختلفات
وقطيرات زمان   ملأت كأس حياة
وإذا ما طغت الكأ   س فقل فى السكرات !
سكرة تُغشى وأخرى   تغتلى بالصحوات
هكذا بتنا رفيـقـ   ـين لزيمى لثمات
غائبٌ غاف ، وصاح   لخفيف الهمسات
كلماتى ، ما تقوليـ   ـن إذن يا كلماتى
اسألى الأرباب عنا   أو سلى الصمت وهاتى

* * *

أين أملاكٌ على   أبراجها المطلعات
تصقل الآفاق فى الليـ   ـل وتجلو النيرات
لا أرى الدنيا على نو   ر الليالى الغابرات
أين ؟ لا بل ندع الدنيـ   ـا وراء الحجرات
نورنا الليلة مصبا   ح وليد اللمحات
غض جفنيه حياء   من غضيض النظرات
شفقياً أو فقل إن   شئت فَجْرِىّ السمات
عسجدًا بارك حسنًا   عسجدى البركات

(1) جمع كوة ، وهى فتحة فى الحائط .

سبحتْ عينى ونفسى　　ويدى فى غمرات
فى كنوز منهما أىٍّ　　كنوز مغنيات
ثروة أنفق منها　　لحياتى ومماتى
ولبعثى يوم أن تبعـ　　ـث فى الطرس وُصاتى
كلماتى ! ما أراك اليـ　　ـوم إلا خاذلاتى
عنك أغنتنى كنوزى　　وكنوزى ملهماتى

* * *

سمعتنى كلماتى　　واستعادت دعواتى
ثم قالت فى حياء　　كالعذارى الخفرات
باح لى الصمت ولكن　　فاتنى أى فوات
قال ساموك عسيراً　　فى التمنى يابناتى
ارجعي ، ثم أعيدى ،　　ثم عودى صاغيات
مرة أو عشرات　　وإذا اسطعت مئات
ما بدرس واحد تُو　　فين هاتيك الصفات
هكذا يا شاعرى ألـ　　ـهمنى الصمت فهات
هاتها وافرح بإحسـ　　ـانى وراقب حسناتى
لا يبوح الصمت إلا　　درجات درجات

* * *

كلماتى ! صدق الصمـ　　ـت . أجل يا كلماتى
غير أنى لا أعيد الأ　　مس إلا بصلاة
مرجع الأمر لمن ضمـ　　ـت رجائى وشكاتى
يملك العودة من أحيا　　من الأرض الموات
فابعثى الصمت إليها　　فى خشوع وتقاة
ربما أعطت وإن لم　　تسألى يا كلماتى

يوم يبحث عن ذكراه

يوم بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه ، فإذا اليوم الذى خطر لنا فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه ، فكانت مصادفة من أعجب المصادفات :

لم يطوه الزمن الماضى ولا احتجبت　　فى ذمة العام بعد العام سيماه
خلناه فى الغيب منسيا فذكرنا　　بنفسه اليومُ فى إلهام نجواه
قمنا لنبحث عنه فى صحائفنا　　فكان ميلاده ميعاد ذكراه
يا يوم أول لقيا بيننا عرضت　　ثم انطوى عهدها حتى بعثناه
نعم بعثناه فى حب إذا ذهبت　　مزية العمر لم تذهب مزاياه
مبارك يومُ عيد فى عواقبه　　لم ينسهُ عنا وما كنا لننساه
لما بحثنا لنلقاه ونذكره　　إذا به باحثًا عنا لنلقاه !
سرٌّ من الله فى روحين ما برحا　　من قبل لقياهما يرعاهما الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفـــسى فلم تبلغ الذرى
من الحب فارفعها ، وكن أنت عاذرا
فللحب أوجٌ فى العلا قلما ارتقى
بنو الأرض الا مُـرتقى منه نادرا
وددت لو أنى لا أفـارق أوْجَـهُ
ولا أستوى فى الأرض ، لو كنت قادرا
ولكنها حربٌ مع الدهر لم يزلْ
بها القلبُ مقهورا هناك وقاهرا
فلاتحسب القلب المشرد غاضبًا
ولا عاتبًا ، وأحسَبه أسوان حائرا
وإن تكُ يوما فى الصعود مؤازرى
أكن لك يوما فى الصعود مؤازرا
ولست على مثواى فى الأرض نادما
إذا كنت لى نجما على الأفق سافرا

* * *

سحر السراب

هذ سرابك جنةٌ تُغرى   يا فاتنى بالقرب والذكر
صحراء بُعدك ما خلت أبدًا   من كوثر فى أفقها يجرى
لكنه يغرى وليس به   رىٌّ ، وعندك لجة النهر
وإذا السراب خَلتْ كواثره   من مائها لم تخل من سحر
فافتن بذاك وذاك يصف لنا   أمن المقيم ، ولهفة السَّفر (١)

(١) السفر : المسافرون . والمعنى : أن فى البعد سحرًا كسحر السراب الذى يفتن بالشوق والأمل ولكنه لايروى ، وأن للقرب فتنة الرى ولكنه لا لهفة فيه ، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة للقرب ولذة السفر .

عالمنا

فى الحب والشعر والإخلاص عالمنا
دعنا من العالم الموبوء بالدنس
إذا نظرت حوالينا فلستَ ترى
إلا السماوات فى مرأى ومُلتمَس

* * *

هجو

هجوتك فى بيتين جهدى فلاتخف
وسلنى ، فإنى قائل لك بيتين :
أقول رعاك الله إنك محنةٌ
وطول عناء حين تغرب عن عينى
وقلتُ وما أتممتُ بيتين أننى
شقىٌّ بما ألقاه منك على البين

* * *

هجو آخر

هذا الدلال علاما ؟   أكان حتما لزاما ؟!
تغيب عنى فيمسى   يومى من الدهر عاما
وإن سمحت بقربى   قصَّرت لى الأياما
تزهى بهذا ، فهلا   خشيت فيه الملاما ؟

* * *

الوساوس

أنا ساهرٌ والليل دامس ... ويل المحب من الوساوس
ومن الغد الخافى وما ... من زحفه المأمون حارس
ومن الذى بالأمس كا ... ن ، وريبهُ فى الصدر هامس
ومن الذى تُخفيه تل ... ك الأعين السود النواعس
تزنو إليك وخلفها ... فى القلب سرٌّ عنك خانس
ودع الغياب ومن يجا ... لس فى الغياب ومن يؤانس
ودع الحفول ومن يُرا ... قص فى الحفول ومن يلامس
يا لهفتا إن قيل لا ... هٍ بينم أو قيل عابس
هذا ذاك كلاهما ... راضٍ به قلبى وبائس

***

لاتنأ عنى إن لى ... فى كل نأى ألف هاجس
هى من شياطين الظلا ... م وأنت مثل الصبح شامس
أشرق عليها ينصرف ... منها المسالم والمشاكس
لاضير عندى أن تعيـ ... ـش إذا انجلى ليل الوساوس

***

رجاء اللقاء

رجائى بأن ألقاك بدّد وحشتى
فكيف إذا أمسيت أنت مؤانسى
أراك فتنجاب الوساوس كلها
وأنت إذا ما غبت كل وساوسى

شكوك العاشق

رأى ابنًا فى الكرى زهقا ... فهبَّ مروعا قلقا
يضم وليده ثقة ، ... وينسى أنه وثقا
ويخفق قلبه فزعا ، ... ويفزع كلما خفقا
إذا ما خاف ذو شغف ... فذاك المارد انطلقا

***

كذاك الشك فى قلبى ... إذا ما طاف أو طرقا
أكذبه ، ويحزننى ... كأن نذيره صدقا
فديتك لاتعدى الحز ... ن من ذنبى ولا الفرقا
فمالى بالخيال يدٌ ... إذا ما خال أو خلقا
يوسوس لى فأسمعه ، ... كذلك كل من عشقا !

***

صفقة مغبونة

أرانى فى غرامك لا أجازى
وإن جازيتنى حبًّا بحب
ألم يسع الزمان الرحب قلبٌ
وهبتكه ، وقلبك غير رحب ؟
فكيف وعند قربك لى شريك
وما لك من شريك عند قربى ؟
جهلت الحب إن أعطيت قُلبا
يقيم على الوفاء ، بنصف قلب

***

بلدى

أمحل الدهر واطّردْ   لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظارٌ لموعد   أو هيامٌ بمن وعد
كل أيامنا تسا   وين فى الوسم والعدد
صبحها مثل ليلها   والتقى أمسها بغد
تنقص العمر كلها   وبها العمر لم يُزد[1]
لم تزد ماضيًا وقد   نقصت مقبل الأمد

* * *

قد رجعنا كما بدأ   نا فما الخوف والكمد ؟
كان لى الحزن موطنًا   فتباعدت ، فابتعد
ثم عدنا فهل ترى   واجدًا خاف ما وجد
بلدى أنت بى أبـ   ـرُّ ، فلا بنتَ يا بلد

* * *

ميناء قلب

نم قرير العين والنفس فما
لك فى قلبى سوى الحب الطهور
أنا إن لم أكرم الصاحب فى
غيبة ، إنى إذن جِدُّ كفور

* * *

أنت مينائى إذا البحر طغى
واكفهر الليل ، واستعصى العبور

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ، ولكنه يزيد فى ثروة الماضى ، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماضٍ أو حاضر .

هب به بعض صخور أثُرى
أنقض الأسوار حولى والجسور
لا وحبى ! بل قصاراى إذن
أننى أعرف هاتيك الصخور
فإذا جاورتها جاوزتها
غافرًا ما شئت ، والحب غفور
بل أرانى شاكرًا لا غافرًا
وشبيهان غفورٌ وشكور

* * *

نم قرير العين والخاطر يا
أكرم الأحباب فى الدنيا الغرور
لاتخف فى الغد شرًا من أخ
وَدَّ لَوْ ينجيك من ماضى الشرور
فى أمان أنت منى وأنا
فى أمان منك ، والدهر يدور
أنا أدرى بك من نفسك يا
طاهر النية فى كل الأمور
إنما تخطئ من حب إذا
أخطأ الإنسان من غش وزور
ويح قلبى أنا إن أحزنت من
هو فى الحب على الحزن صبور
كما قسا منى وكم جار الهوى
والهوى منك رحيم لا يجور

لك من عطف شـــفـــيع دائم
وشـفـيـعى عندك الوجـد الثـؤر
ثم قـــرير العين والخـــاطر لا
قـــر ذو ضـــغن ولا نام غـــيـــور
خلِّ جـــهل الناس فى ظلمـــائه
واجل لى حـــبك نوراً فـــوق نور

* * *

فوق الحب

صـاحـبى من سـروره وسـرورى
فى صفـاء الزمـان يلتـقـيـان
وصـديقى من اسـتـجـد سـرورا
من ســرورى ، وإن تناءى مكانى
وحبيبى مَن قلبه كيفما كا
ن ، وقلبى فى الشجو يستويان
فالذى يرتضى العذاب لأرضَى
كيف أدعوه ؟ ما اسمه فى البيان ؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ
ـب شىء يُرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ
جلَّ عن صبغة الوجود الفانى

* * *

سريان روح

لاتسلنى متعبٌ أنت فما
تتعب الأرواح فى عُليا السماء
بجناحين من الحب ومن
حسنك الخافق ، ينقاد الفضاء
طرت لا أشكو المدى من تعب
حين صاحبتك فى ذاك المساء
لم أكن ألمس أرضاً إنما
كنت أسرى حين أمشى فى ضياء

* * *

توكيد

أحدث نفسى بالفراق وأخشاه
كما تقذف الأم الوليد لتلقاه (1)
هو الشىء لاتدرى بفرط وجوده
ولاحبه إلا إذا غاب مرآه

* * *

جواز الحياة

قالت : جوازك ؟ قلت : هاك !   حب أنال به رضاك
فدخلت فى خدر الحيا   ة وراء ألفاف الشباك
أبرز جوازك تقتسم   دار الحياة على اشتراك
أو لا فأنت ببابها   أبدا تحوم بلا فكاك

(1) الأم إذا قذفت بابنها فى الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ، ثم شعرت به بين يديها فكان فى ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه .

الخرافة الصادقة

دعنى أثوب إلى العراف أسأله
فالحب علمنى صدق الأساطير
جلا عجائب دنيا لانظير لها
فى زعم مختلق أو وهم مسحور
فإن أبتُ مؤمنًا بالسحر لاعجب
هذا هو السحر فى حسى وتفكيرى

***

علم الحب

إذا ساءت الدنيا ففى الحب مهرب
وتحسن دنيا من أحاط به الحب
فبالحب تدرى الحسن والقبح عندها
وفى الحب علم لاتعلّمه الكتب

***

الثوب الرشيد

فرحات قلبك بالجديد   من فرحة الطفل السعيد
أخجلت بالثوب الرشيـ   ـق وأنت صاحبه الفريد ؟
هو لايعاد فما لقدّ   ك من معيد فى القدود
خلّ الحياء لمن يلو   مك واحلُ أنت كما تريد
أولى بالاستحياء من   عذل الجمال على المزيد
كل الثياب لمن يز   ين ثيابه عفٌ حميد
فافرح بحلتك الجميـ   ـلة فالجميل هو الرشيد

لو ترتدى ثوب الوقا   ر وهيبة العمر المديد
للبستها فرحا بها   كالطفل فى الزى الجديد

***

عمر شعر

شعرى القديم عشقته وحفظته   وحييت فيه حقيقة وخيالا
وجديد شعرى إن نظمت فإنما   لك بت أنظمه ، وفيك توالى
فكأنَّ حبى كان عندك كله   رهناً بحسنك مبدأ ومآلا
فاحرص على قلب أباحك ماضياً   منه وحاضره والاستقبالا

***

الحياء فى الحب

صن من حيائك مايذكرنا على
طول التآلف أننا جسمان
واخلع حياءك يوم ينسى أننا
قلبٌ تفرّد ماله من ثان
الحب أجمع حين تعلم سره
فى ذلك التذكار والنسيان
قلبٌ يرفرف فى جوار قرينه
لا القلب مبتعد ، ولا هو فان
متفرقين ليعطيا ، فإذا التقى
حظاهما فسروره ضعفان
ويلذ بالثمر الجديد كلاهما
كالحور تحت عرائش الرضوان

عتاب

أيها المانع الرسائل عني
هل يكون الوفاء كُتبًا بكتب
هب ردودى أبطأن عنك فقل لى
من أقال البريد من كل ذنب؟!
لا التحدى ، ولا التشاغل ، يُرضى
من حبيب معاتب ، أو محب
ضامنٌ أنت إن تسلفت عذرى
حسن ظن بالود أو ، حسن عتب

***

لقاء شجى

هل عجب فى الحب برح الأسى
بعد ابتهاجى بلقاء الحبيب؟
هاتيك نفسى استجمعت نفسها
فابسط لها عذر اللبيب الأريب
لاتجمع الأنفس أجزاءها
مابين نابٍ حولها أو مجيب
إلا أطالت نظرات لها
فيما بدا منها وفيما يغيب
يا رحمة للقلب من نشوة
يشابه النشوان فيها الكئيب

***

مولد

أو نشوء وارتقاء

زانك الله بصفو   وسلام يا شتاء
طال بى فكر الليالى   أو ما فيك عزاء ؟

***

قال لى : هاك فخذها   زهرة منى إليك
ذات حسن وحياء   ولها فضل لديك
وسمت بالفكر (١) فاقبس   فكرة فى راحتيك
قلت حقاً يا شتاء   هى حسن وحياء
غير أنى ، وهى صمت ،   ليس لى فيها عزاء

***

قال يرضيك إذن شا   دٍ من الطير مُجيد
هو للجنة (٢) يُدعى   وله منها نشيد
يعشق النيل وإن لم   يك فيه بوليد
قلت حقاً يا شتاء   هو حسن وغناء
غير أنى ، وهو صوتٌ   ليس لى فيه عزاء

***

قال يرضيك إذن سا   ر من البرق بشير
يصدع الظلماء ، يزجى   عارض الغيث ، ينير
فيه من قلبك نبض   ومن اللمح سمير
قلت دعنى يا شتاء   من شعاع فى فضاء
إئذا جاد بغيث   كان لى فيه عزاء

***

(١) المقصود - كما يظهر من هذا الوصف - زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسيه ، وهى كلمة ترادف بالفرنسية كلمة «الفكرة» ، وتظهر هذه الزهرة فى الشتاء . (٢) عصفور الجنة .

قال : والشمس؟ فما ظنـ ـك بالشمس ذكاء [1]
كلما عدت بها سبـ ـح عشاق السماء
فيك منها لمحة حرى وطهر وضياء
قلت حقاً يا شتاء هى نور ورجاء
غير أنى ، وهى صبح ، ما عزائى فى المساء ؟

* * *

قال لى أنفدتُ كنزى كله بين يديك
غير ذخر من بنى الإنسـ ـان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليـ ـل قصارى غايتيك
أتراه ؟ قلت حقاً هو فى الدنيا العزاء
هو حبٌ وحياة وربيع يا شتاء

* * *

من بنى الإنسان فى ذ ات شتاء وُلدا
زينة للعين والـ ـب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا ء صاف كالندى
كبنات الروض مفتـ ـنٌ الحلى جمّ الحياء
وارف كالظل مُحي فى شذاه كالهواء

* * *

يا شتائى فيم إخفا ؤك ذاك السرَّ عنى
أى روض ؟ أى برق ؟ أى شمس فيك أعنى ؟
أنا مستغن به عنـ ـها فماذا عنه يُغنى ؟
قد تعلمتَ وأتقنـ ـتَ أفانين السخاء

(1) فى أساطير الأقدمين : أن الشمس تولد مرة فى أوائل الشتاء .

منذ عشرين وخمس من سنى الدهر سواء

* * *

تم عندى كل ما تعـ ـطى إذا تم العطاء
وجميلٌ كل بدء ينتهى خير انتهاء
وجميل زهرك النا مى على هذا النماء
صدق العلم وقال الحـ ـب حقاً يا شتاء
سنة الزهر نشوءٌ فى المعانى وارتقاء

* * *

إساءة مشكورة

إليك منى الشكر حتى على
إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى
من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق
تعرّض العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة ريّاً له
كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامئ ترياقها
أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

عروس الشعر
فى البعد

عروس شعرى أجيدى فى البعد نظم القصيد
فيم السكوت ؟ أما من وحى ؟ أما من نشيد ؟

أوحىٌ ثغر لثغر ... أولا صدى من بعيد ؟!
أما سمعت ببرق ... مستحدث أو بريد ؟
وناقل من أثير ... وسكة من حديد
بُشرى إذن ألف بشرى ... بيوم قرب سعيد
إلى المزاهر هُزّى ... أوتارها من جديد
ورنِّمى واستعدى ... ورتلى واستعيدى

* * *

صنوف حب

عرفت من الحب أشكاله
وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحبَّ المصور تمثاله
عرفتُ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعدُه
وحب التصوف لم يعدُنى
وفى كل حب ورَى زنده
سماتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

وحب المزخرف والمنتقى
وحب المجرد والعاطل
وحب الجماح ، وحب التقى
وحب المجدد والناقل

* * *

وحب الشقاة وحب الصحا
ب ، وحب الطبيعة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذا
ب ، على يأس نفسى من حزنها

* * *

وحب التى علمتنى الهوى
وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القوى
ومن بالقوى أنا أمددتها

* * *

وحب الجياع صحاف الطعا
م ، وحب الظماء كئوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلا
م ، وحب الضلال وحب الصواب

* * *

صنوف من الحب لاتلتقى
وفيك التقى لُبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق
لما كنت كفؤًا لهذا الهوى



صفات وتأملات

ليالى رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها
ولولا سناها قلت كنت أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها
لعمق معانيها ، وبعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ
وفيها من السلوى جميل رضاها
ليال برأس البر تَنْدَى وداعةً
ورقة أشجان ، وطاب نداها
وداعة ذات الدّل شاب فؤادها
شوائب من هجر ، فراض صباها

* * *

ليالٍ برأس البر طاب نداها
وشفت دياجيها ورق سناها
هنا النيل ساجٍ طال فى الدهر سيره
وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوار الدهور على الكرى
ويطغى فلايحمى النفوس كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها
ترسلت الأحلام ملء مناها
هنا عالم السلوى ، هنا العالم الذى
تحس الليالى فيه همس خطاها
هنا العالم المشهود ذكرى قديمةً
وذكراك دنيا لاتزال تراها

فلولا حياتى فى عروقى أحسها
لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

جمالك - رأس البر - فى زى ناسك
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
لياليك - رأس البر - فى صومعاتها
مناسك ضلت فى الظلام هداها
صحابك - رأس البر - أطياف نائم
تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيام من الرؤى
ولم أر جهدًا فى الحياة عناها
حياتك - رأس البر - طفل مجدد
سقته ثدىُ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما
فنينا ، وكم تُفنى الجسوم نُهاها
بحسبىَ من أبناء آدم إن صفا
لنا العيش يومًا ، إن تكفَّ أذاها

شرفة مصر
فى رأس البر

ينتهى البر ههنا | أو هنا البدء أولا
نحن فى باب شرفة | إن تكن مصر منزلا
نترك الأرض خلفنا | ونرى البحر مقبلا

كـالذى يهـجـر الديا   ر إذا ارتاض واخـتلى
مـصـر من خلفنا ولا   مـصـر من صوبنا ولا ..
حـبـذا «الرأس» شـرفـة   ومـصـيـفـاً ومـوئلا
فـرجـة النفس كلمـا   عـافت الأرض والملا

***

خبر الربيع

يأيهـا الورق الخضـرُ فى شجـر
عـهدى ومـا فيـه من ذى خضـرةٍ أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى
عـيـدانك العـوج ذاك العطر والزّهر
أنا سـألنا ، ولو عـاد السؤال إلى
فحوى الضمـائر لم نعرفـه يا شجر
سلنا بحـقك من أين اسـتـجـدّ لنا
هذا السـرور الذى فى القلب ينتـشـر
كـلاهمـا طارقٌ طاف الربيع به
على براق من الأنوار ينحـدر
سلهُ فـإن لم يُجب فـانعم بمقـدمه
وافـرح به ، وانتظره حين ينتظر
إذا أجـاب بأزهار مـفـتّـحـة
وبالسرور ، فـحسبى ذلك الخبـر

***

الوجود!

لاتنازع الوجود

ليس السر الأكبر هو تنازع الوجود ، بل السر الأكبر هو الوجود نفسه كيف كان وما الذى يبعث إلى التنازع فيه ؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشىء يحتاج هو نفسه إلى التعليل ، وأنت لاتعطينى الكنز إذا وصفت لى صراع الطامعين فيـه ، وكذلك لاتعرّفنى سر الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لى تنازع البقاء :

«نزاع بقـاء» فـصّلوه وعـددوا
وراموا به سـر الوجـود فـأبعـدوا
أيوجـد مـخلوق ليـحـمى نفسـه
من الخلق ؟ أم يبغى الحمى حين يوجد ؟
هو السـر كل السـر أنك كـائنٌ
وأنك تبغى الكون (١) والكون مُجـهـد
فـلا تُحص ألوان النزاع فـإنما
هنا السـر والكنز الذى عنك يوصـد
أمـعطىٌّ كنزاً إن عـرضت لناظرى
صـراعًـا على أعـتـابه يتـجـدد ؟

***

تجربتى

تجـربتى ! أين أنت تجـربتى ؟
يا كـتـبى . أين أنت يا كـتـبى ؟ !

(١) الكون : مصدر كان ، وهو الوجود .

لم تمنعى دمــعــة تؤجــجــهـــا
في القلب نار العــذاب والغــضب
إليك عنى ! فلست مـــانعـــة
حـــزنى ، وقـــد تمنعـــيننى طربى
وقـــد تشـــوبين لى الصـــفـــاء ومـــا
تُصـفين عـيـشى من كـدرة الريب
لهــفى على غــرة أعــيش بهـــا
غـفـلان ، والفـاجعـات عن كـثب (١)
لهـــفى على جُنة أهيم بهـــا
مـــقـــهـــقـــهًـــا بين فـــادح النوَب

* * *

قربان القرابين

مـــافى القـــرابين ولا الأعـــيـــاد
أبرُّ فـى اللـب وفـى الفـــــؤاد
من يوم حبٌ بـالحـــيـــاة شـــاد
مـــدخـــر منتظر الميـــعـــاد
تبـــذله للمـــوت والحـــداد
رعـــيًـــا لمن باتوا على وســـاد
من الثـرى فى غـيـر مـا رقـاد
وقطعـــوا فى القـــبـــر كل زاد

* * *

(١) عن قرب .

الفن الحى

أو الحياة الفنية

خـذ من الجـسم كل مـعنى ، وجسِّم
من مـعـانى النفـوس مـا كـان بكرا
حبـذا العـيش يبـدع الفكر جـسـمـا
تجـتليـه ، ويبـدع الجـسم فكرا
ويرى الفن كـالحـيـاة حـيـاة
ويرى للحـيـاة فنّاً وشـعـرا
ضلَّ من يفـصل الحـيـاتين جـهـلا
واهتـدى من حـوى الحـيـاتين طرا

* * *

عمر السعادة

إن السعادة هى الكفاية ! والاكتفاء بدء التحول والاستغناء ، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها . . . فإن لم تُغرنا بذلك فهى كالنور الذى ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب ، فتخلق لنا أسبابًا كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافية علينا ، إذ نحن نريد الدنيا أبدًا رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة ، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل :

ثق بالرهان على عـمـر الزجـاج ولا
تثق بعمـر سـعـيـد طال أو قـصـرا
لعل أسـعـد حيٍّ أنت مُـصـبحـه
يموت قـبـل نزول الليل منتـحـرا
وفى السعـادة مـايُغرى بفرقـتـهـا ،
إن الكفـايـة تكفى من رأى ودرى
وربما شـوهت دنيـاك أجـمـعـهـا
إذا رأيت بهـا عـيـبًـا ، وإن صغـرا

* * *

العراف

من عـهـود مـجـهـولة وديار
هى أخـفى من عـمـره مـسـتـقـرا
حـمل اللحـيـة التى تنسج الد
هر ، وتبـديه للنواظر شـعـرا
هو غـيبٌ فكيف لايعلم الغيـ
ـب ، ودهر فكيف يجـهل دهرا
خلفـه للزمـان سـر ، فـهل يطو
ى غـدٌ من أمـام عـينيـه سـرا ؟
فى خـفـايا المجـهـول عـاش فـسله
عن خـفـايا المجـهـول ينبئك جـهـرا

* * *

التقديس

عـارف التـقـديس رو   حيٌّ ،وإن قـدس جـسـمـا
ومـهين الجسم جسـم   ـيٌّ ، وإن كـان «بَرْهمـا»
أنت بالتـقـديس تسمـو   لا بما قـدستَ تُسـمى
وهـى الأعـين لا الـنـو   ر التى تجلو ، وتعـمى

* * *

يوم شتاء

يوم بيت لا يوم خـوض الدياجى
فـانج مـا بين صـفـحـة وسـراج
وجـمـال من النفـوس يُناجى
فى أسـارير وجـهـه ويناجى
مـسـتـهلين والطبـيـعـة غـضـبى
وكـلانا من هولهـا الصـعب ناج
نتـحـدى الرياح والليل والأهو
ال طرًّا بصـفـحـة من زجـاج !
فـإذا مـا يروع منهـا ويضنى
نتلقـاه ههنا بابتـهـاج
كـالذى يشـهـد الكوارث فنًّا
من فنون التـمـثـيل والإخـراج

* * *

السرور

منع السـرور حـذار قلبى قـبـله
إن لايتم ، وبعـده التنغـيـصـا

ويزيدنى كلفـــا بـه وضنانة
ألا يبـــاح - إذا أبيح - رخـيـــصـا

* * *

القديس

إن يجهل الناس ما القديس فى خلق
فأنت وحدك ؛ قديس السماوات
لامانح الخير كل الخلق تحمده
أو مانح الخير مجزياً بجنات
أو مانح الخير يرويه ويرسله
فى حاضر من سواد الناس أو آت
منحت خيرك تأبى أن يذاع ، وقد
تخشى عقوبته فى يوم ميقات
منحته من سخاء لاجزاء له
إلا مسرة وهّاب المسرات
تلك القداسة حقًا لاقداسة من
يزدان بالعرف فى سمت وإخبات[1]
تلك القداسة من نور وإن سُترت
كأنها الذنب فى ليل الخطيئات

* * *

نسختان !

خذ من رجائك نسختين ولاتصن
أبدا رجاءك فى كتاب [2] واحد

(١) الإخبات هو التخشع . (٢) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب ، أو «الخطاب» .

فإذا الْتَوتْ إحداهما عن قصدها
لم تخطئ الأخرى سبيل القاصد

* * *

العزاء جملة

غنيتُ عن العزاء ، وهل عزاء
لمن قبل المصاب رأى المصابا
تسلفتُ الفجائع فى ارتقاب
وحسبى أن أهوّنها ارتقابا
لقد هانت خطوبى حين باتت
حياتى كلها خطبًا عُجابا
فإن شئتم فعزوا فى حياتى
مجازفة ، ولاتحصوا الحسابا

* * *

مناجاة الدنيا

يقول الحى : إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هى الخاسرة ، والحى لايشعر بخسارة فقد الحياة .

وتقول الدنيا : إن حيّاً يجيء يغنيها عن حى يروح ، وبذلك تبقى ينابيع الحياة ، فلا خسارة عليها .

ويقول صوت خالد لاهو صوت الأحياء ولاهو صوت الدنيا : إن الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء ، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفنى أبدًا أو يَفنى أبدًا ، وإنما كل كائن له دور فى الإفناء ودور فى الفناء :

إن تكن غايةُ سعى الحى موتٌ فيـك يا دنيا فأنت الخاسرة

أو يكن بعد فناء الميْت عيـشٌ فيـك يا دنيا فأنت العامرة

نحن إن عدنا إليك الخاسرون

* * *

فأنت الدنيا : بحىٍّ بعد حى أنـــا أستبقى ينابيع الحياة

فامكثوا فىَّ نفوسًا أو تـــرابًا ما على الحالين عندى من شكاة

إن ذهبتم فكما كنت أكون

* * *

قال صوت ليس بالدنيا ولا هــو بالنـــاس ولا غيرهما

فيه منها ثم منهم أثـــرٌ ثــم من شىء سرى بينهما

كلُّنا نحن حــيـــاة ومنونٌ

كلنا يفنى ويُفنى ويصــــون

كلنا مفـتـرقون . كلنا متحدون !

* * *



إلى الأستاذ مكرم (١)

يا من أسى جرح مصر فى ضمائرها
جراحُ جسمك تأسو مصر شكواها
إذا شكا مكرمٌ فـدَّته أمتـه
كما رعاها وحياها وفدَّاها
الله والنيل قد صانا وقد عرفا
من ليس يعرف إلا النيل والله

* * *

تهنئة

ولدى فى البيان والأدب — تلك قبرى من أكرم القُرب
كن أبًا واستمع نداءك من — كل نجل بذلك اللقب
فإذا حفَّك البنون بما — شئت من بهجة ومن لعب
وإذا ما بلغت فى عقب — فوق ما قد بلغت فى نسب
وإذا ما ارتقيت فى رتب — أبدًا ترتقى إلى رتب
كان لى الفخر أن دعوتك يا — ولدى ، أو دعوتنى بأبى
إنَّ فى حافظ (١) لمفخرة — لذويه وصحبه النجب

* * *

تقريظ

لك شعر يحكي سريرة نفس
رُكِّبَتْ من صراحة ونقاء

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة : «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية فى المستشفى القبطى .
(٢) قيلت فى تهنئة الأديب : «المهذب حافظ جلال» بخطبته .

جُبلتْ كالفراش فى أمة الطـ
ـير خفوقًا بين الندى والضياء
واستوت فى الحياة فوق جناح
مستطار الخطى رقيق الغشاء
فتعهَّدْ حدائق الشعر والبس
حلل الروض ، واطّلع فى السماء
وانشد النور فى جوائك واطلب
بعدها الشمس فى رحيب الفضاء
أنت يا طاهر (١) الفؤاد جدير
من محبيك بالرضا والثناء
لك يومٌ موفٍ بأجمل سعي
وغدٌ مقبلٌ بخير رجاء

* * *

أسود يلتحى

أليس كفى هذا السوادُ فزدته
سواد غراب فى لحاك معلق ؟
سريت برأس لاحدود لوجهه
فمازال فيه الليل بالليل يلتقى
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى
سوادك محفوفًا بأبيض مشرق
وأخلقُ أن يرتادك الشيب حالكا
على حالك ، لو كان يجرى بمنطق

(١) هو الشاعر الأديب : «طاهر الجبلاوى» ، والأبيات نظمت فى تقريظ ديوانه : «ملتقى العبرات» .

نبوءة [1] أو وسواس

يا نبيِّى العزيز ! أنت نبىٌّ   غلبتـه وساوس الشيطان !
غلبتـه الشكوك لا عن بيان   ناطق بالهـدى ، ولا برهان
موجسًا من خيانة فى ثنايا الغـ   ـيب ، والغيبُ صارم الكتمان
دلّه حدسه عليها وما دلّ   على مـوضع لهـا أو زمـان
أو على آثم جناها وأخـفى   سرها عن رقيبه اليقظان
قل لنا السـر كله يا نبيِّـى   أو فها نحن فى الهوى سيان
أعرف الناس خائنين فهلا   زدت شيئًا علىّ فى العرفان
يا نبيِّى ، فاشرح لنا أنت ماقد   كان ، لاما يكون فى الإمكان

* * *

البيلا [2]

البـيـلا . البـيـلا . البيـلا   مـا أحلى «سُلب البـيـلا»

* * *

هاتوا البـيـلا واسـقـونى   هاتوا البـيــلا . داوونى
الطب «ودينى» يوصـينى   بالبـيـلا ، تحـيا البـيـلا!
البـيـلا . البـيـلا . البيـلا   مـا أحلى البنت البـيـلا !

* * *

(١) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن ، والشاعر يقول فى هذه القصيدة :إن هذه النبوءة لاتعدو القول بأن الخيانة موجودة فى الناس ، وهذا شىء نشترك فى علمه أجمعين .

(٢) البيلا : أى البيرة . . والقصيدة منظومة فى طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقدارا قليلا جدا من الجعة يشربه بين حين وآخر ، فألف الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة . وفى القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضى أمره . فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير .

مـالى ومـا للشكولاتا   تمشـى لـى تـاتـا تـاتـا
بطلٌ مـثلى هيـهـاتا   بالحلوى ينسى البـيـلا
البـيـلا . البيـلا . البيـلا   أبدا لا أنسى البـيـلا

* * *

يوم رضـاعى خـدعـونى   بالبـيـــلا لم يروونى
من ثديى لاتسـقـونى   اسقونى ، اسقونى البيلا
البـيـلا . البيـلا . البيـلا   هاتوا لى كـأس البـيـلا

* * *

اخطف كـأسى بالكفين   خطف المفطوم الثـديين
إن أغـمض عينيه الثنتين   فـتـحت عينى البيـلا
البـيـلا . البيـلا . البيـلا   «نور العـينين» البـيـلا

* * *

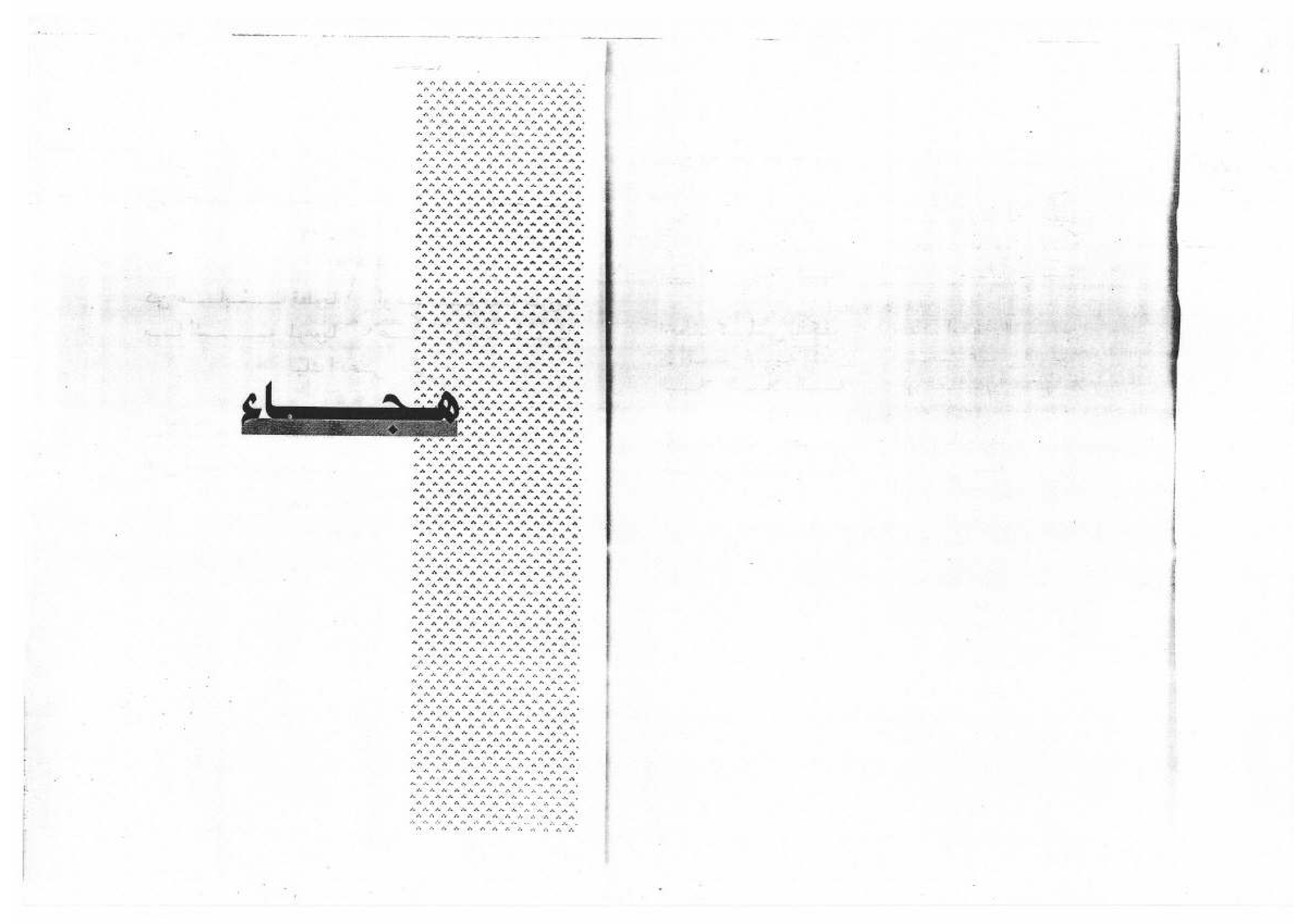
بالبـيـلا كنت حكيـمـا   أرضى بالمر عليـمـا
طمعا فى الصبر وفيـمـا   يحلو من وعـد البـيـلا
البـيـلا . البيـلا . البيـلا   مـا أحلى وعـد البـيـلا

* * *

قـالوا السكران العـربيد !   عـربيـدٌ أنا بالتـأكـيـد
أرقص ، وأغني ، وأجـيـد   فى ساعـة «سلب البيلا»
البـيـلا . البيـلا . البيـلا   غنوا فى نخب البـيـلا

* * *

لقـبى فى صحـبى«همًـا»   ظلمـونى فى اسمى ظلمـا
إن نادوا البـيـلا يومًـا   أغلط فى اسـمى والبـيـلا
يحـيـا «همًـا» والبـيـلا   البيـلا . البيـلا . البيـلا



هجاء

هجاء الدهر

أباسمٌ تُغنى ؟ لُعنتَ شرٌّ لعن
وإن عداك المثنى خذ الثناءَ منى
يادهر وامض عنى

* * *

كن عابسًا قطوبا أو ضاحكًا طروبا
ما أشبه الموهوبا عندك والمسلوبا
إليك ! دعنى دعنى

* * *

ما أقبح اللئيما مبتسما كظيما
أدنى إليه سيما أن يُبتلى دميما
يعوى ولا يُغنِّى

* * *

أمانحى السرورا ؟ خذه و بن مدحورا
لو لم أكن موتورا أشكو الأذى المقدورا
ما شاقنى بحسن

* * *

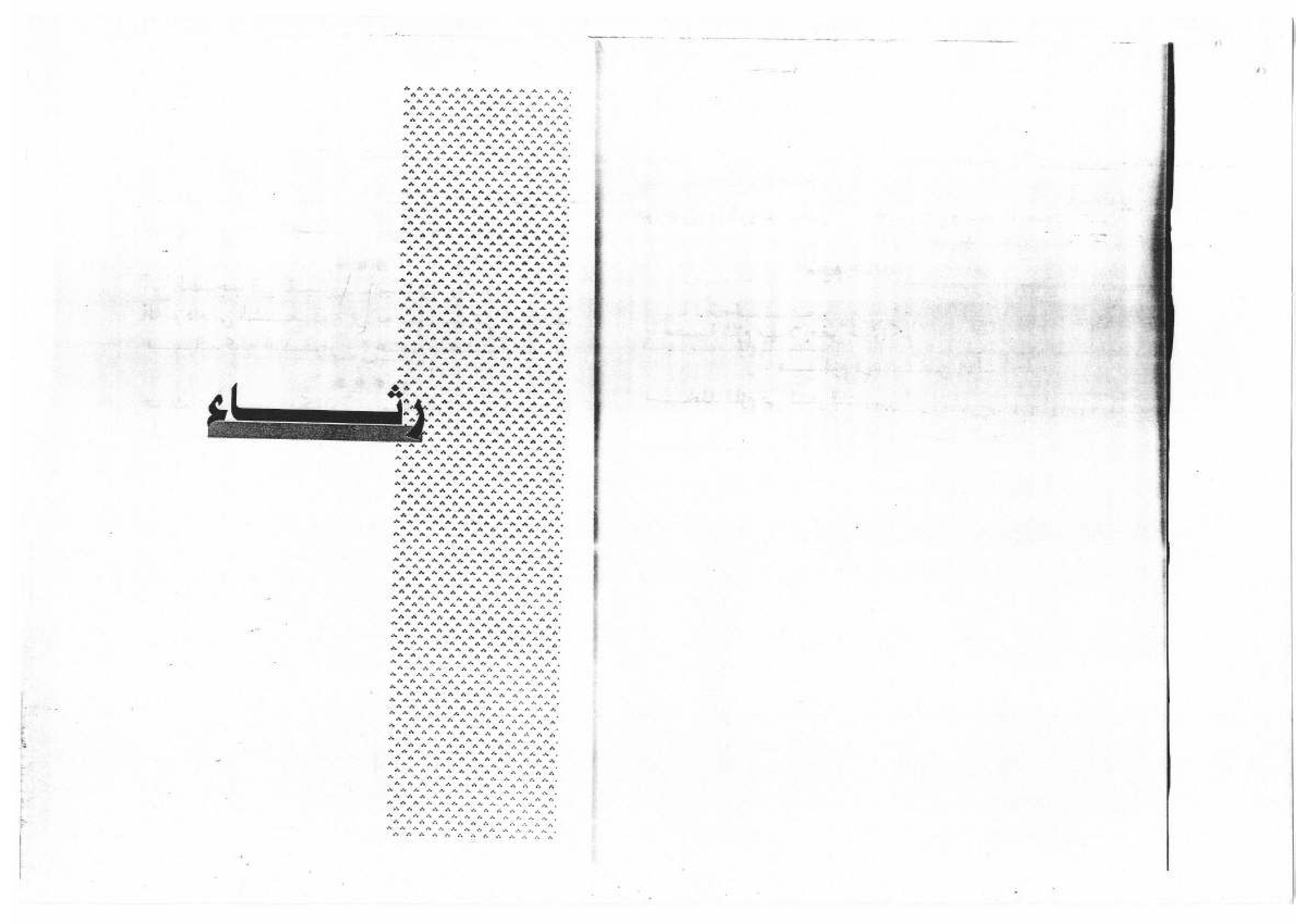
أين الجمال أينا ؟ كلُّ الجمال منّا
إن شئت لا إن شئنا فقرٌّ أنت عينا
وخلّنا فى أمن !

خنزير أعجف !

فيه خنزيرية ظاهرة ما نفاها عنه ذاك العجف
هو خنزير ولكن شأنه جسدٌ فى وضعه منحرف

اللؤم خالد

يا عصبة اللؤم مهلا بعضَ غيرتكم
فاللؤم لاينقضى إن لم تُجلوه
سيخلد اللؤم فى الدهر اللئيم وإن
أذله أهله ـ لؤمًا ـ وملّوه



رثــاء

نصيب الحى والميت

يا صديقى لنا البكاء ... ولك الموت والسلام
عندنا النور والعناء ! ... عندك النوم والظلام !
ليس يأسى أخو فناء ... بل أخٌ بعده إقام

* * *

أتبعُ الصحب فى القبور ... ببكائى ، وما اهتديتْ
أنا لو دام لى الشعور ... بعد موتى لما بكيتْ
عالمٌ كله غرور ... عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

* * *

هالكٌ كلُّ ما يكون ... تستوى النفس والصفاة
فلمن تحصد المنون ... ولمن تزرع الحياة ؟
بدأت حكمة الجنون ... وانتهت حكمة الهداة

* * *

رفيق الصبا (١)

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا
وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعيننى
وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت فى قنا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟

(١) رثاء الصديق :« حسين الحكيم» من أدباء قنا المعروفين بالورع .

ونستنشد الأشعار فى كل ليلة
ونطلب فى كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً
على الأرض إلا كى يقولَ ويخطبا
ونحصى على الدهر البرىء ذنوبه
وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى
فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت أستحيى الشبابين فى قنا
وجدتك رسما فى التراب مغيبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارهُ
وأذريت دمعًا عند قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبَّب
إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة
وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو فى ذِكرِى فتى العمر ينطوى
كما طوت الأسقام شيخا معذَّبا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى
ورب فتىً فى الردى فات أشيبا

وسيان فى عقبى الطريقين من مشى
على عصويه من عياء ، ومَن حبا
عهدتك فى شرخ الصبى ناضر الصبى
وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره
ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاق حسين أبَّنوه وأطنبوا
فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا
وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لايقرب الأذى
ولايذكر الإخوان إلا تحبُّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا
وإن قصر المسعى بدنياه أو نبا
إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفسٌ
تحرَّجَ منها مُعرضًا وتحوَّبا
وكان عزيز النفس فى غير جفوة
ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا

وكان سميرًا يملك السمع كلما
تبسط فى أسماره وتشعَّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة
ويؤثر فى الآداب من كان معربا
أليفًا وفيّاً لايفارق صاحبًا
ولا منزلاً إلا انثنى فتقرَّبا
أحبَّ قنا واستعذب العيش فى قنا
فلم يُغره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه
لما ذكروا إلا الوفىَّ المهذَّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا
رفيقا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى
مكانا من الجمع القنائىَّ مكثبا
كأنى وقد فارقته قبل يومه
سمعت له نعيين يوم تغيَّبا

* * *

إذا ما رثى المحزون إلف شبابه
رثى قلبهُ شطرا من القلب مخصبا

وودع من عـهـديه فى العـمـر قـبلةً

أخفَّ على الروّاد زادًا وأرحـــبـــا

إذا جـازها أودى بمخـتـار عـيـشـه

ولم يبق إلا مـــا اتقى وتهــيـــبــا

* * *

أليف الصبى لاتشكُ فى الموت وحشة

فـمـازال ركب الموت أحـفل مـوكـبـا

تعـــاقــيت الأجــيـــال تحت لوائه

وإن بعـــدوا دارًا وعـــهـــدًا ومـــأربا

ومـــا الزمن المحـــضـــور إلا بقـــيـــةٌ

من الزمن الماضى تلاقت لتـــذهـبـــا

عليك ســـلام الله حــــتى يظلنا

ســـلامٌ أظل الناس شـــرقًـــا ومـــغـــربًا

تذييل
فى اسم الديوان

جاءنى بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان فى الصفحة الأدبية بالجهاد استفهام من بعض الأدباء يسألنى فيه بلهجة لاتخلو من الاعتراض : هل يحرم إذن على الشاعر المصرى أن يذكر البلبل وما إليـه؟ وهو ســؤال لامـحل له ، لأننى لم أحـرم ذكـر البلبل على الشعراء المصريين ، وإنما قلت : «من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع فى هذه الأجواء» .

فالذى يلام عليه الشاعر أن يدع طائرًا مغردًا جميل التغريد لاشك فى وجوده وكثرته فى الأجواء المصرية ثم يجعل شعره من هذا النحو وقـفًـا على فصـائل من الطير توجد عندنا فى بقاع محدودة أو لا توجد إلا أيام الهجرة العارضة .

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبنى سويف ويتـفـرق على قلة فى أنحـاء الصـعـيـد ، وقلمـا يصل إلى القـاهرة والأقاليم الشمالية .

أما الطائر الذى يقـرءون عنه فى الآداب الأوروبية أو الفـارسـيـة ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصرى «أولا» ولكنه إما أن

يكون العندليب أو الهزاز أو فصيلة أخرى ، وهذه الفصائل ـ بعدُ ـ مهاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجرة المصرية .

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم فى جميع أجوائنا ، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها ، ولايُفهم من ذلك إلا أن الناظم يطرب على المحاكاة ولايفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار .

الفهرس